



الطبعة
الثانية

رواية

أسفكسيا

” أَنْ تَذُوبَ عَشَقًا ”

مُحَمَّدُ نَجِيبُ كَبْدُ اللَّهِ

الرواق للنشر والتوزيع

أسفكسيا

محمد نجيب عبدالله

نسخة الكترونية خاصة بكندل أمازون

الغلاف: كريم آدم

التصحيح اللغوي: محمود الديداموني - أحمد عبدالمجيد

رقم الإيداع: ٢٠١٥ / ١٥٤٦٤

الترقيم الدولي: ٤ - ٠٧ - ٥١٥٣ - ٩٧٧ - ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة



للنشر والتوزيع

١٨٦ عمارات امتداد رمسيس ٢ أمام أرض المعارض مدينة نصر

هاتف: ٠٢٢٠٨١٢٠٠٦

rewaq2011@gmail.com

[facebook.com/RewaQ.Publishing](https://www.facebook.com/RewaQ.Publishing)

إلى زهور ثلاثة تزيّن حديقة عمري..

چنى وچود وأدهم..

إلى مي، نسمة صيف باردة تتحمّلي دون كلل..

إلى أصدقاء لم يكفّوا بعد عن الإيمان بي..

إلى زمن عنيف..

سخيّف..

مخيّف..

لا رومانسية فيه..

إليك أيها القارئ العزيز، إليكم جميعاً..

أهديكم هذه الرواية.

هناك أناس يصنعهم القدر..

وأناس يصنعون القدر..

لهم..

ولغيرهم.

الجزء الأول

في الحق.

إني رجل بسيط.

وإنسان متواضع.

يظن أن الناس يولدون متساوين.

وكما نُقبل على الدنيا عرايا..

فكذلك هي عقولنا.

لكننا نكتسب المعرفة..

من الحياة.

(كوموجو)

- كاتب صيني -

(١)

حين سمعت أن العصفير أشرقت، والشمس قد بدأت في الزقزقة؛ استيقظت من نومي شاعرة أن اليوم لا بد يوم جميل، فاليوم سيولد طفل، وستتزوج امرأة تحب، وفي مكان ما من هذا العالم سيقبل ابن ما يد والده، وسيحل الإله ضائقة أحد من عباده، وعنده لا يعلم، سترتوي أرض عطشى، وتفتح زهرة داخل بستان، ستضم أم ابنها في حنان، وسيطعم أحدهم فما جوعان.. يا له من يوم جميل، حين يدرك السعادة إنسان.

تثاءبت في سعادة، وقت من سريري في محاولة جادة لأبدو نشيطة، كانت أختي ماتزال نائمة على السرير الآخر جوارى.. ترى هل هي الأخرى تحلم بالفارس؟ ذلك المجهول الذي سيخطف كلا منا على صهوة جواد أشهب، سيحضر لي كل يوم زهرة تختلف عن زهرة اليوم السابق؛ يتوسل حي ويسعى إليه، يخني أمامي في سعادة، فأقترب منه، وبيدني ترتعشان أرفع رأسه إلي، أجلسه

على عرش صنعته أنا، ثم أجلس تحت قدميه كالهرة السيامية في ليلة شتاءٍ قارص، جلست أمام
مدفأةٍ مشتعلة بجوار بكرة التريكو الكبيرة، بينما سيدتها تغزل شالا صوفياً أو كوفية، باغية تمضية
الوقت وإضاعته لا أكثر ولا أقل..

المهم أنني سأجلس بملك القطة المدللة، أدلك له قدميه المتعبتين، واستند برأسي على نخذه،
سيمس على شعري، وأشعر بالكهرباء تسري في جسدي، الرعشة تهز كل كيائي، خلاياي تصرخ
شوقاً، وعيي ينسحب مني تدريجياً، و.....

- الفطار جاهز يا بنات.

يووه، هي لسه (أمنية) ما صحيتشي، أنا مش عارفة البت دي طالعة كسلانة قوي كده لمن،
أبوها تقريبا ما بينامشي، وأما بتصحى من الفجرية..

صحيا والنبي يا (علياء)، وهاتيا معاكي علشان تفطروا.

خطفتني أمي عنوة من أحلامي كالعادة.

حسناً فارسى النبيل، يمكنك أن تطعم جوادك قليلاً ريثما أعود إليك ثانية، وإن كان لديك مشوار
هام يمكنك أن تذهب شريطة أن تعود منه سريعاً، لا تتأخر..

.....))

رائحة الصبح في الريف، مميزة..

مزيج كل روائح البشرية، رائحة طيور جو وبر وبحر، رائحة فل وياسمين، طين ودم وعرق..
رائحة عيدان الذرة، ونجوم القطن المتلألئة.. رائحة الحيوانات والفلاحين، رائحة السنين، كل
السنين..

رائحة رغيف الخبز الطازج في الفرن..

والقمح تطحنه الرحي في الجرن..

رائحة النساء، وملاءاتهن السود..

رائحة الفرحة والحزن والعمل والطيبة إلى حد السذاجة..

رائحة الترع والأراضي المبللة..

رائحة الندى..

حتى أنا..

كنت آنذاك مكوناً من مكونات تلك الرائحة، حتى أنا..

((.....))

لا أذكر على وجه التحديد كيف بدأت صداقتي بـ(يمنى)، حتى إنني دوماً كنت أظنني ولدت صديقة لـ(يمنى)، خلقت وأوجدني الله من العدم كي أكون كذلك، وقد كانت (يمنى) موهوبة جداً، وماتزال. واذ هي كذلك، فقد كان من السهل جداً عليها أن تثير دهشتي في أي لحظة، وفي أي موقف، فد(يمنى) بالنسبة لي تعتبر رائعة الجمال، وحديثها لبق موزون، له وقع على الأذن لا يمكنك أبداً أن تخطئه، ابتسامتها فجر، تملأ الوجه كله ضياءً وبشراً، خطها جميل ومنمق، بارعة في الرسم إلى حد الإبداع، حتى سلطة القلم، أهدها إياها الإله، فقد كانت (يمنى) تكتب الشعر، غاية في الرقة والعذوبة، غاية في الصدق والصرامة.

أساءل دوماً..

كيف يمكن لإنسان واحد أن يكون كل ذلك، كانت (يمنى) تستطيع أن تعبر عني خيراً مني، تخترقني، وتفهم ما بداخلي، ولقد سألت نفسي مراراً، لماذا اختارتني أنا بالذات لا كون صديقتها المقربة، ماذا أملك أنا لأقدمه لها، ما هو الشيء الذي يجذب شعلة النور تلك لشمعة ضوءها خافت شاحب، وقد كنت أشبه نفسي دوماً بصديقات البطلات في الأفلام المصرية القديمة، تلك الشخصية السطحية التافهة المهضومة الحق التي لا لزوم لها فعلياً إلا لكي يخبر المخرج بطلته أشياء على لسانها، أو يجعل البطلة تقول شيئاً لها لتسمعه نحن، أو على أقصى تقدير تحب صديق البطل، الذي هو مثلها تماماً لا لزوم له إلا كي يخرجوا جميعاً معاً لكازينو أو شاطئ مثلاً!

كانت ملكة، وكنت أنا الوصيصة، ولكن هذا لم يسبب لي الضيق أبداً، فقد كنت أمتص رحيق حياتي من وجودي بقربها، كم وددت لو كنت رجلاً لا تزوجها، لأعيش بقربها طول العمر، تكون لي دوماً، هل تظنون أي مبالغة فيما أقول؟

كلاً البتة..

أقسم لكم بكل ما يمكن أن تؤمنوا به، إنني ما قلت سوى ما استطاع تعبيره القاصر الوصول إليه..

.....

- أهلاً (يمنى).

قبلة على الخلد، والخلد.

حضن ساخن حميم، أمسح أحمر الشفاه من فوق خدها، وهي تفعل المثل لي، دعكها لخدي يجعله محمرا كاني تجلانة، ولحقني أي أحيانا أكون كذلك حين تقبلني على الملاء.

فقد كان سلامنا لافتاً للنظر، فيه بعض من المبالغة، ولمن لا يعرفنا يبدو مفتعلاً، ولكنه والعهد علي لم يكن كذلك، كان سلاماً حاراً حقاً، منبعه القلب. وهكذا مشينا متشابكتي الأيدي، كأننا حبيبان، رويت لها ما حدث لي منذ تركتها آخر مرة، أمس، وكذلك فعلت هي.. نظرت لساعتي:

- المحاضرة خلاص، معادها جه.

على عجل حملت كل منا بعضاً من أشياءها وبعضاً من أشياء الأخرى، وهرونا نحو المدرج. كانت المحاضرة قد بدأت منذ ربع ساعة، دخلنا ووجدنا مكاناً في الصف الخلفي، فجلسنا.

- وعلشان كده، سقراط قال يا ولاد.

((ما أعجب هذا الشيء الذي اسمه اللذة، وما أغرب صلته بالألم، الذي قد يُظن أنه واللذة نقيضان، لأنهما لا يجتمعان معاً في إنسان، مع أنه لا بد لمن يلتمس أحدهما، أن يحمل معه الآخر، إنهما اثنان، ولكنهما ينبعان معاً، من أصل واحد))

... ومن الكلام ده نفهم أن...

هل حقاً كي يشعر الإنسان باللذة، لا بد له من أن يشعر بالألم؟! نظرت إحدانا للأخرى..

كانت النظرات تحمل معانٍ شتى، ولكننا آثرنا الصمت.

* * *

اليوم لدينا اجتماع في مقر المجلة.

أوه..

نسيت أن أحدثكم عن مجلتنا، التي أنتم لها اسماً فقط، قد أساعد في تحضير بعض المواد، أبدي رأياً، ولكنني لم أكن يوماً بالعضو الفعال الذي يقوم على كتفيه الأعمال الجسيمة. ولأننا كنا منازل طلبة جامعيين، نمتنع بقدر قليل من الخبرة والمعرفة الحقة، والكثير الكثير من الحماس والسداجة، لذا كان طبيعياً أن يكون اسم المجلة حماسياً ساذجاً؛ (النبراس).

وهو يتشابه مع كثير من الأسماء الأخرى، ك(الرأي)، (البيان)، (القرطاس)، (المعرفة) ..

صاحب الفكرة، ورئيس التحرير، وكاتب المادة الرئيسية، والمثل الأعلى لنا جميعاً - في تلك المرحلة من الحياة - كان (أحمد العسقلاني)، أكبر منّا بسنتين، شاب طويل جميل خفيف الظل، وقد كنا جميعاً نظنه مثقفاً، ولربما هو كذلك، ممتع جداً، حديثه شيق، أحياناً مقنع.

- النهارده الذكرى السنوية بتاعة حادثة بني سويف ولازم نعمل مرثية ليهم ...

ثم كان هناك أيضاً (حازم)، بالذقن والسكسوكة والشعر الأسود الفاحم، شاعر متوسط، رقيق ومهذب، يعطي نفسه حقاً، لا أدري من أين اكتسبه لنفسه، حق الحكم على الآخرين .. هو الآخر زميل ل(أحمد) في نفس السنة، وهو الذراع الأيمن والأيسر والعقل المفكر، والمقرر، وبعضاً من الألقاب الأخرى.

- وهانخط القصيدة الجديدة بتاعتي، ها سمعها لكم الأول ..

حبيتي يا زهرة الزنبق، يا قطرة ندى وقت الغسق ..

يا وادياً بـ ..

كنت أمضي وقتاً ممتعاً حقاً، يجعلني أحس بالتمرد، كأننا منظمة من نوع ما، لا أب لها ولا أم، ولا أحد يملئ إرادته علينا، لا يوجد هنا سي (السيد أحمد عبد الجواد)، لا يوجد أمر ونهي، وشخط وزعيق، نحن نصنع الممنوع ونلتزم به، ونحلم بالغد المشرق ونتطلع إليه، هنا نصنع عقولنا وتفكيرنا، ونصقلها لتلعب كالماس، بالطبع كان هناك آخرون، وبالطبع كان ل(بني) دوراً إيجابياً وفعالاً، من رسم وكتابة وتجميع .. و .. و ..

أيضاً، (نسرين) و(محمود) و(رمزي)، و(أحمد حسين)، وأحياناً (إيمان المسيري)، تلك الجميلة المغرورة، التي ما إن تظهر - إن ظهرت - حتى يلتف حولها الشباب كالنمل حول قطعة السكر، ذلك يسحب لها كرسيًا لتجلس عليه، والآخريشترى لها - من جيبه الخاص - مشروباً غازياً، هل يعجبك هذا يا (إيمان)، هل رأيت ذلك يا (إيمان)، ما رأيك أنت يا (إيمان)؟

مراهقون!

كلهم مراهقون!!

حتى المثل العليا!!!

* * *

لو لم يكن الوجود أفضل من العدم..

لما كان الوجود.

(جبران خليل جبران)

* * *

المساء.

ذلك الوقت الساحر.

المملكة الخاصة لكل المخلوقات على وجه الأرض، الوحدة حينها لا تكون شيئاً سيئاً كعادتها، خاصة إذا تحملت نفسك بكثير مما - أو ممن - تحب، يبدو المساء لذيذاً جداً، بعد مكالمة (يمنى) المطولة، لم أتساءل يوماً عما نتحدثه كل يوم، كيف تجد كلتانا ما نتحدث به الأخرى بعد مغادرتها بساعات قليلة، ولمدة ساعتين أختين، لم أتساءل، ولم أفكر في التساؤل، هل تساءل أحدكم يوماً، لماذا تتنفس، تأكل، تشرب، تنام؟

سيبدو حينئذ من الحمق - حقاً - أن أتساءل أنا الأخرى، كيف ولماذا؟!!!

بعدها، يبدأ مسائي..

وهو مساء يختلف كلياً وجوهرياً عن مساءات الآخرين، فقد خلق الإله مساءين، مساء لـ (علياء)، ومساء لسائر الأشياء..

مساء (علياء)، تنفصل به (علياء) عن كل الموجودات حولها، تقيم حولها أسواراً، عازلة للصوت والضوء والمؤثرات الخارجية، قد تغلق باب غرفتها - غالباً - أو حتى تتركه - نادراً - مفتوحاً، تقرأ أحد كتب جبران، تتمثلها، وتشملها روحه الشفافة، تلك المسحة الغريبة من الكتابة والفلسفة والرومانسية، ذلك التشاؤم الوردى اللذيذ، تلك الكلمات الساحرة المخدرة التي تتوغل داخلك، تتغلغل خلالها، تدغدغك، تحرك فيك مشاعر وأحاسيس لم تكن تعرفها، ولا تعود تعرفها بعد التوقف.

((الأرواح نيران، رمادها الأجساد))

(ألف فكرة وفكرة)

((وما السعادة في الدنيا سوى شبح

يرجى فإن صار جسما مله البشر
كالنهر يركض نحو السهل مكتدحاً
حتى إذا جاءه يبطي ويعتكر
لم يسعد الناس إلا في تشوقهم
(إحساس طاغ بالانفصال والتمرد)
إلى المنبع فإن صاروا به فترا
(أتحول امرأة من إسفنج، كل وظيفتها أن تمتص)
وغاية الروح طي الروح قد خفيت
فلا المظاهر تبديها ولا الصور))
لا أريد أن أكون واحدة أخرى منهن..

تلك النساء، اللذيذات الظريفات الدواجن، اللاتي توقف نموهن وإدراكهن لحظة الميلاد، لحظة
أن أدركت كل منهن أنها ستكون امرأة، لا تكون الجمل المفيدة، بل تنطق جملاً خبرية، مفيدة،
فهو، يشتري خبزاً، هي، تطبخ بامية، تقلي بيضاً، تغسل غسيلاً، تنظف بيتاً، وتعمره، لا يتشاءب
الرجل، إلا إذا كانت امرأته السبب، تلك المرأة التي لا تؤذي، سوى النمل المتسرب من تحت
عقب الباب، ولا تصدر سوى القرارات الهامة، المتعلقة بنوعية الغذاء اليوم، أو اللون الأصلىح
لبلاط الحمام، الموقع الهام لأباحورة ما جوار السرير أو الغطاء الذي فوقه.

عذراً رجلى المقدس، لن أكون واحدة أخرى منهن، لن تجدني دوماً حيث تركتني، ولن تكون
كلمة (حاضر) هي النفس الذي يردده صدري ويلهج به لساني حمداً للإله وشكراً للأقدار التي
سأقتك في طريقي. ولكن لا تقلق رجلى المقدس، لن يعني ذلك أبداً أن أكون رجلاً آخر له
عضلات وشوارب، له غباء الذكر وتحكمه، وضيق أفقه وأنفه حتى - بل وبالذات - من نفسه، لن
يعني هذا أنني لن أجعلك تريح رأسك - إن كان متعباً - على نَفْذي، وسأملس لك شعرك الأسود
الفأحم، سأجعل شفاهك تداعب أناملتي وتدغدغها، سأحس باللهيب يلفح وجهي في كل مرة
تقترب فيها بأنفاسك نحوي، أو أه، يارجلتي المقدس، ترى أين أنت الآن، بل من أنت، وكيف
ستكون.

* * *

أنت حر أمام شمس النهار
وأنت حر أمام قمر الليل وكواكبه
وأنت حر حيث لا شمس ولا قمر ولا كواكب
بل أنت حر، عندما تغمض عينك عن الكيان بكليته
ولكن أنت عبد لمن تحب
لأنك تحبه
وأنت عبد لمن يحبك
لأنه يحبك
(جبران خليل جبران)

* * *

((كفر صقر)، شرقية، مهد أسطورة مصرية..))

اسمها (علياء)!

ما لكم تتعجبون هكذا، ألم تعتادوا على الأساطير، حسناً، ما أنا إلا أميرة مسحورة، تبدو على
أمارات الطيبة والسداجة، ولكنني - أبدا - لست كذلك، لست كذلك البتة، عظيم جدا والذي
هذا، الباشمهندس (محمد فرح)، أنه أنجيني، اشكروه على ذلك، فقد أنعم عليكم، و.....)

- (علياء)!

(علياء!!!)!

مرة أخرى توقظني أمي، ولكنه ليس الإفطار هذه المرة، نور الغرفة مضاء، مازالت (أمنية)
نائمة، أمي على باب الغرفة بقميص نومها، شعرها مشعث والدموع تملأ وجهها.

- قومي يا (علياء)، اندهي الأستاذ (حلمي) جارنا، صحيه من النوم، قوام يا حبيبتى، بابا تعبان قوي ولازم نوديه المستشفى، يالا يا (علياء)!

ولأن القيامة يبدو أنها تريد القيامة، فقد استيقظت (أمنية) عند هذا الحد، ولو كان الظرف مناسباً لكنت رقت زغرودة بلدي، ولكن.. أبي، حبيبي يا أبي!

- بابا تعبان يا (أمنية)، قومي البسي بسرعة!

هكذا وبمتهي الحزم تماكنت نفسي بسرعة، أنا رجل البيت الآن، لكن، أين أنتِ يا (يمنى)! أنا لا أستطيع أي شيء بدونك، أنقذيني!

ضبطت دمعة تسقط على خدي، فوأدتها سريعاً، سريعاً.

في ثوان كنت قد أصبحت مخلوقة ترتدي بلوزة وبنطلون چينز وتطرق جرس الأستاذ (حلمي) جارنا الذي لديه سيارة.

أمي التي بدأت تتذكر كل تصرفات الست (أمنية)، كانت تدلك صدر أبي، وتدعوله، وتبكي، وتخبط على صدره، وتقبل جبهته التي أصبحت متعرقة للغاية، وهو يمسك بجانب صدره الأيسر كما لو كان يريد استخراج شيء ما مدفون هناك... مستشفى، بالطو أبيض، رسم قلب..

مبروك يا مدام..

إنها فقط ذبحة صدرية، لا توجد جلطة، لكنه سيبقى بالمستشفى عدة أيام تحت الملاحظة.

- إيه يا بنات، قلقنوا على بابا؟ دي حاجة بسيطة قوي، أزمة وتعدي.

- السكر عالي، الضغط عالي.

- صدره وحش قوي!! حضرتك قلت بتدخن كام سيجارة في اليوم؟

- أربعة قهوة!! ساعات سبعة؟!

- فيه نبضات زيادة، بلاش توتر!

- إيه يا باشمهندس؟ قلقننا عليك يا راجل.

أبي، حبيبي يا أبي، سأقتل نفسي لو حدث شيء لأبي.

أنتم لا تعرفون أبي، أبي هو كل شيء، ولولاه لكنت الآن مازلت هناك، أمشط شعري ضفيري
وأخطر وأنا أمشي بجوار المالح، أبي الذي علمني، اشترى لي أول كتاب، أفهمني كيف يكون المرء
ما يريد..

أبي، المتمرد الصامت، السياسي المطعون في صميم وطنيته..

هل تعلمون أن أبي دخل السجن مرة وهو شاب؟

وحين جلست معه مرة، لم أفهم هل هو حقاً يجب (عبد الناصر) أم يكرهه، ربما الأمر أعقد من
ذلك قليلاً، ربما هو يحبه بالدرجة التي تجعله يكرهه، ربما خيبة أمل فيه، ربما لأنه خلف وراءه
جيلاً أسموه جيل النكسة، ولكنه يحبه، أعتقد أنه كذلك.

عمل أبي صحفياً فترة من الفترات، وسافر لبنان، وتركنا هنا مع عمي في البلد، وعندما علم أنني
تأخرت في دخولي للمدرسة - ولم تكن (أمنية) قد ولدت بعد - عاد.. أجل، عاد.. لأنني تأخرت
عن دخول المدرسة، تشاجر مع عمي وعدنا للقاهرة.. أواه، كم أحبك يا أبي!

- عايزين حد بيات معاه.

- أنا!!

كان صوتي حاداً، عالياً، احمرّت خدودي عندما وجدت كل من حولي ينظر لي بمن فيهم أمي،
فتابعت:

- روي انتي يا ماما، طبعاً حضرتك لازم تكلمي عمي في البلد، وهما أكيد هاييجوا، ولازم يلاقوا
حزرتك في البيت، والحاجات دي، انتي فاهمة.

كانت حجة واهية، والكلام يفتقد لأي ضابط أو رابط، ملت على أذن أمي وقلت:

- ما تنسش إنني واخدة دورة إسعاف أولي، وأول واحدة تقدر تتصرف لو بابا عاوز حاجة.

إنه الهدف الذهبي، لا تصلح هذه الحجة إلا مع سيدة بسيطة كأمي، التي اقتنعت أخيراً على
مضض، تنفست الصعداء بعد مغادرتها، وأخذت أتأمل أبي الذي كان يرقد الآن تحت تأثير
منوم بسيط أعطاه له الطبيب كي يهدأ ويريح قلبه.

يريح قلبه!!

أنا أعرف أن أبي لن يرتاح قلبه إلا بعد أن يتخلص من تلك الداهيتين الراضحتين على صدره،

(علياء) و(أمنية)!

فهنا يبرز أبي بكل شوقيته، بكل غروره العربي، وكبريائه، ونجمله كذلك، فهو أبو البنات، رغم كل شيء، رغم أنه عودنا على ألا نكون بنتين، بل رحلين يعتمد عليهما، إلا أن الطبع يغلب التطبع، ولن تملك أن تغير - مهما غيرت - من أمرنا شيئاً، سنظل فردين من الجنس الآخر، الجنس صاحب الشعر الطويل والجلد الناعم، الذي يصيبه مرض الحمل ووباء الرضاعة وطاعون الدورة الشهرية، سخفاً لنا جميعاً، نحن حاملات العار، نحن جالبات ال.....

- آنسة، آنسة..

أفقت من تأملاتي، على طبيب امتياز شاب يستأذني كي يقيس الضغط لوالدي، فأفسحت له الطريق. في قلق أخذت أتابع العملية، مراقبة العمود الفقري للزئبق وهو يرتفع صامتاً ثم يبدأ سطحه في التآرجح في رحلة الهبوط، حتى يسكن ثم يهبط هبوطاً سريعاً.

- الحمد لله، الضغط دلوقتي أحسن كثير.

حمدت الله في سري، ونظرت بامتنان للطبيب كأنه قد حمل لي بشري طيبة، وهو حقاً قد فعل. اهدأ الآن يا أبي وأسترح، أنا هاهنا بجوارك، ولحسن الحظ، ليست لدي ارتباطات الليلة!!

* * *

.....))

أصوات تخلقها الطبيعة، كلها حقاً بديعة..

أصوات باهرة، تبعث على الدهشة..

أصوات تغلفها الغلظة، وأخرى هشة..

أصوات الطفل والطفلة، والصبي يرن جرس العجلة..

والزراع يغني للمحصول، وقضمة من رغيف بالفول..

صوت الزهرة، تناجيها الزهرة..

والعصفور يدندن للشجرة..

الأرض تشقها الفأس، هدير حناجر الناس..

مياه الخير جارية في التربة..
أصوات الطبخ والتقلية والدمعة..
آذان الفجر بالمسجد وصوت الغفير..
ثور في ساقية ونهيق الحمير..
القش والقمح والبرسيم والدريس..
والليل تثيره أصوات كالهسيس..
بكاء هنا، وزغرودة هناك..
فرح، مأتم، مصالحة، عراق..
خليط كل الأصوات..
سمفونية تعزف بلا آلات..
أشترك فيها أنا، حتى أنا..
حتى أنا أحياناً.....))

* * *

كان الوقت مايزال مبكراً على بدء موعد الزيارة، اليوم سوف يكون حافلاً، لا بد أن كل البلدة ستزورنا، شعري أشعث، حول عيني دائرتان سوداوان من أثر السهاد، أبي مازال نائماً، في يدي جريدة الصباح أتصفحها، لا يدهشني أن الأخبار نفسها أخبار أمس، بل ما يدهشني حقاً هو قدرتهم المذهلة على تكرار الأخطاء الإملائية!! حينما حدث أن...

- مش ده الأستاذ (محمد فرح) برضه!!؟

((أول نظرة..))

هي الدقيقة الفاصلة بين نشوة الحياة ويقظتها..

هي الشعلة الأولى التي تنير خلايا النفس..

هي أول رنة سحرية، هي أول وتر من أوتار القلب البشري، هي اونة قصيرة تعيد على مسمع النفس أخبار الأيام الغابرة، وتكشف لبعصرها أعمال الليالي..

وتبين لبصيرتها أعمال الوجدان في هذا العالم.. وتتيح سر الخلود في العالم الآتي..

1(((.....

هي أول نظرة إذن.

تلك التي رأيته فيها، بقوامه المشوق وكتفاه العريضان ووجهه الوسيم، ممتطياً صهوة جواده الأشهب، في وسط ليلة مقمرة، وعلى الأضواء المتراقصة لجذوة نار مشتعلة، أسند جسده المنهك إلى صخرة ماء، واستل من تحت حرمته الصوفية جيتارا إسبانيوليا، وبأنامله الطويلة المدربة بدأ يعزف لي، ويعزفني..

- مش ده الأستاذ (محمد) يا أنسة؟!!

صدمني التساؤل ثانية..

أدركت للمرة الأولى أنه منذ دخل الغرفة وأنا أحلق فيه كالمعتوهة، ماذا دهاني، لا بد أنني مرهقة للغاية، نظرت لنفسي، كنت بشعة للغاية، يا ويلي، ماذا فعلت، هل هذا هو الاستقبال الذي يليق بالفرسان الفاتحين؟ ما الذي دهاك يا (علياء)!!؟

ماذا حدث، الحقيقة لا أعرف، كل ما أعرفه أنني لا أتمنى أن يغادر هذا الملاك الغرفة، كان صوته رقيقاً للغاية، دافئاً للغاية، حنون هو، اعتقد ذلك..

- نعم..

حقاً إن الدواء الجديد للشلل هو فعال فعلاً، نطقت كلمتي الأولى منذ دخوله..

- آسف إن أنا دخلت من غير استئذان، بس أنا قعدت أخبط وماحدش رد عليا..

لا أذكر شيئاً مما يقول، ارتبكت، أردت أن أختبي، الأرض أو الحائط أو الكرسي، أي شيء ينشق ويبتلعني.

- دكتور (خالد).

مدّ يده..

لوهلة لم أدرك ما هو رد الفعل المناسب، مددت يدي اليسرى مرتبكة، اعتذرت ومددت يدي الأخرى، يا إلهي، أهى الكهرباء يا ترى ما سرت في جسدي حينما سلمت عليه! ما عدت قادرة على التنفس، وجهي أحمر للغاية، أحس بسخونة شديدة، جسدي كله ينتفض كمن لدغته أفعى، ساقاي حبلان رفيفان لا يقويان على حملي، خرج صوتي كالأسطوانة المشروخة..

- أهلاً.

- آنسة؟!

لم أجد أن من حقه أن يعرف اسمي، ولكنني دون إرادة مني وجدتي مدفوعة:

- (علياء)!

رفع حاجبيه علامة الإعجاب:

- اسم حلو قوي، (علياء).

لم أدرك قبلاً كم هو جميل اسمي إلا حينما أشار إليه، اقترب دكتور (خالد) من والدي فأيقظه في رفق، استأذن منه بالكشف عليه، وحينما استوى أبي على السرير، خرج (خالد) واستدعى الممرضة وجهاز رسم القلب. هل تعرفون إحساس الطفل الذي يرى الساحر لأول مرة في حياته؟ لا داعٍ لإرهاقكم، فقط انظروا إلى المسكينة التي اسمها (علياء)، (علياء) التي تشعر بكل ما هو غريب وعجيب عليها، بكل ما هو أول مرة بالنسبة لها.

- رسم القلب حلو، الحمد لله.

هتفت في عذوبة:

- ميرسي!

أجل، ثقافتي الفرنسية تأخذ حقها في التعبير، انصرفت الممرضة بالجهاز، وبقي (خالد) ليقبس الضغط لأبي.

- بالراحة يا دكتور.

صوت أبي الأجنس، كدت ألومه على مقاطعته لفقرة الساحر التي يؤديها (خالد)، ولكنني اكتشفت أنه أبي، وهو مريض، لذا لا حرج عليه.

- تمام يا أستاذ (محمد)، الضغط كان كويس.

تنفست الصعداء.

- ممكن أدخن سيجارة؟!

الأحمق!! أبي الأحمق!! والذعر باد على وجهي تساءلت ماذا يريد هذا المجنون؟! أن ينتحر؟!
بالأمس فاجأته ذبحة صدرية، وحين يستيقظ من النوم يطلب سيجارة، إذا كان هذا ما يريده
فلماذا تكبد عناء جلبنا لهذه الدنيا، كي يعذبنا؟!!

من كل قلبي صرخت:

- بابا، أنت اتجننت!!

- آسة (علياء)، تسمحي لي بكلمة مع بابا لوحدنا، دقيقة واحدة.

ماذا؟!

أول حركة خيانة تصدر من فارس بجواد وجيتار، أقصد جهاز ضغط وسماعة.

- دقيقة واحدة،.

على مضض خرجت.

وتركتهما يتحدثان.. بعد دقائق خرج دكتور (خالد) واستدعاني.

- خلاص يا ستي، بابا اقتنع إن مفيش سجاير تاني.

- إيه؟!!

- أيوة يا بنتي خلاص، دكتور (خالد) فهمني كل حاجة وأنا مش هادخن تاني.

- ولا قهوة؟!

- ولا قهوة!

كدت ألقى بنفسي على (خالد) هذا أقبله، كيف أقنع أبي بهذه السهولة! إنه ساحر حقًا. حينها
لفت نظره شيء ما على الكرسي الذي كنت أجلس عليه منذ قليل.

- فلو لم أكن حيًا لما كنت مائتًا..

ولولا مرام النفس ما رامني القبر

- نعم؟! -

- جبران، مش ده جبران برضه؟

أومأت برأسي إيجاباً.

- أصلها غاوية نكد (قال والدي)

- بس كلامه مليون حِكْم. (دكتور خالد)

- ده مجنون!

- جليز.

فنظر لي (خالد) في عيني مباشرة، لا أدري لماذا أحسست أني عارية أمامه، فسرت في جسدي رعدة عابرة.

- وانت رأيك إيه يا (علياء)، مش انت اللي بتقري؟

لم أجبهِ، أو هكذا ظننت أني فعلت، كل ما ذكرته بعد ذلك أن هذا الرائع المدعو (خالد) .. لم يعد موجوداً، للأسف!!

- مالك يا بت؟

زغدتني (يمنى) كوعاً.

جاءت تزور أبي، أو بالأحرى تزورني في المستشفى.

غريب هو المرض.

لقد جعل من مخلوقين مختلفين أسرى غرفة بيضاء كأنها الكفن.

كم هو جبار ومؤثر، كيف يهجم هكذا وسط الليالي، فيغربنا عن ذواتنا، يجعلنا نكرهه ونكرهنا، ونكره أجسادنا التي تؤويه، بل ونكره خارجنا الذي لا يعانیه، كيف يكون الموت إذن؟!!!

- هيبه، انتي، رحتي فين، باين عليكي بتجي ولا إيه؟

ثانية أفيق من شرودي، فأعود (علياء) البسيطة الجميلة المبتسمة التي لا تنفع ولا تضر.

- إيه؟! -

رددت عليها وشبه قهقهة تكاد تنفذ من صدورنا كأننا هكذا، وبكل ما في الدنيا من بساطة، أبعدنا الأشباح، وهزمتنا المرض، كأنما ألف ألف سيجارة لم يدخنها أبي، كأن ضغطه لم يرتفع، كما لو أن شرايين قلبه المرهقة لا تريد أن تتجدد تماما كصاحبها، كما لو أن أمي لم تقم بتلك العملية لإزالة ذلك الورم - الذي تبين أنه كان حميدا - من ثديها، كما لو أن عمي لم يمت في حادث سيارة العام الماضي، وبنت خالتي طلقها زوجها قبل أن يمسيها، كما لو أن ألف ألف شيء لم يحدث أو هو حدث ولكن لأناس آخرين.

* * *

- إيبدييه،

قلتها طويلة، عالية، كأنها الصرخة. في قلق هتفت (يمنى):

- حبيبي، مالك؟

نظرت لها نظرة لها ألف معنى، وقبل أن أطلب أي شيء، فعلت بالضبط ما طلبته.

ضمّنتي..

في قوة ضمّنتي..

بالضبط هكذا يا (يمنى)، لا أريد للهواء أن ينفذ داخل صدري.

بالضبط يا (يمنى)، أريدك أن تضمّني، فضمّني.

كادت دمعة أن تفر من عيني، كم أحبك يا أبي، يا ملعون!

يا أحق، يا أحق!

- أهلاً، آنسة (علياء).

أووف، أووه، أأهااا..

إنه الـ(خالد) ثانية!

- اسف، ما كانش قصدي اقطع على غرامياتكم ولا حاجة، بس أنا يعني.
كالْمُحْرَجَاتِين تَمَامًا، تَخَنَحْتُ وَ(يَمْنَى)، وَكَلْتَانَا تَتَبَادَلُ مَعَ الْأُخْرَى الْعِذَارَاتِ الْبَلَهَاءِ.
- لَا أَبْدَأُ.

- لا، لا، مفيش حاجة.

- لا أبدأ، ده بس...

- أصل يعني...

- (يمنى)، أعز صحابي، وأختي، أكثر من أختي.

هكذا حسمت الموقعة لصالحى فى النهاية.

تصدمني نظرة الإعجاب تلك، أعرف نظرة الإعجاب تلك، تلك، تلك، التي أراها فى الركن القصي
من عيني (خالد)، كل الحق لديك، ف(يمنى) أجمل ولا شك، وقوامها بديع رائع لا يشوبه أي
نقص أو عيب، بمنتهى الرقة واللفظ واللين واليسر تعارفاً، ولم تمض ثوان حتى كانا يتضحكان،
ما الذي دهالك يا (علياء)، أهى الغيرة أم ماذا؟! ومن يكون (خالد) هذا حتى تحسي بالغيرة
عليه، ومن؟! (يمنى)!! أيجار المرء من ذاته؟ ثم إنه ليس النوع الذي يناسبها، إنه ناعم جداً،
سلس، يتسرب كالأفعى. بالطبع كلا، لا يعقل أن تعجب بشخص مثله، إنه ليس رزينا بالقدر
الكافي، ليس رزينا البتة، بالطبع لا يناسب!

- يخرب عقلك، انتى بتروحي فين؟

أجفلت والتفت إليها وقلت:

- (خالد)، ماله (خالد)؟!

فى خبث أو تخابث هتفت:

- ماالله (خالد)، ها؟

احمرّ وجهى وارتبكت، تخنحت وأطرت نجلاً، خرج صوتي ضعيفاً، محبوساً، وأنا كأنها الغمغمة
أقول:

- دكتور (خالد)، ده الدكتور بتاع بابا.

- وبس!!؟

إنه السؤال الأخبث على وجه الأرض، ودومًا يكون مكانه هاهنا، حيث - حقًا - لا إجابة عليه،
لا إجابة عليه البتة، شردت ثانية، وصوتي يأتي من جب سحيق:

- طبعًا، وبس.. أمال انتي كنتي فاكرة إيه!!؟

حقًا، فيم كانت تفكر (يمنى)!

إن خيالها لجامح حقًا، أما أنتِ يا (علياء)، ففيم حقًا تفكرين!!؟

كلا، لا أعتقد ذلك.

حقًا!!؟

أخبريني، فيم تفكرين!!؟

هل تعرفين؟

(٢)

عذرًا أعزائي لن أطيل عليكم الآن، فالوقت لا يبدو جيدًا للإطالة، لقد خرج أبي من المستشفى،
وكل الحمد والشكر لله، لا تميز الأدوية التي عليه أن يتناول، هذا قيل الأكل بساعة وذلك قبله
مباشرة، والآخر وسط الأكل، أما الصغير الأبيض فلا يجب أن يأخذه يوم الجمعة، ومدر البول
هذا يومي الأحد والأربعاء. كم من الوقت يستغرق الإنسان ليحفظ كل هذا، وأي حياة تلك
وأنت تعد فيها الدقائق والثواني! المهم أن الحبيب قد عاد إلينا، عاد لعمله وأهله، ولي.. واستقر
بيت الأستاذ (محمد فرح) قليلاً.

ماذا؟! ما الذي تريدون معرفته، (خالد)، وأنا؟! لا يوجد (خالد) وأنا!! ماذا حدث؟! لا شيء،
لا شيء البتة، لقد كان إعجابًا فقط، حالتى النفسية السيئة وظروف والدي هي ما صورت لي،
ولكم، ما تصورنا، أنا وأنتم، أنه يحدث، ثم إنني أخبرتكم أنه ليس من النوع الذي يناسبني،
خصوصًا..

وأنه متزوج!! الأحمق، الملعون، المأفون، الغبي، المتخلف، الحقير، متزوج، ولديه بنت وولد..
وكااااان عنده ولد!!

* * *

وما السعادة في الدنيا سوى شبح

يرجى فإن صار جسماً مله البشر

(جبران خليل جبران)

وكما كنا - ها هناك - شخصين.. مجرد شخصين يربط بينهما اسم مشترك وغرفة مرضى بيضاء؛
تشاركت وأبي، فترة نقاهتنا، ازداد وزني بشكل ملحوظ في تلك الفترة، وأعتقد أن بضعا من
الكيلوجرامات التي حصلت عليها لن أفقدها طول العمر، كآني بها تذكركي بمرارة التجربة الأولى،
دوما، تذكركي.

وكالعادة، امتصتني دوامة الحياة، وقامت (بمضى) بمجهود مذهل، فقد أدركت - كعهدي بها - ما
كنت أمر به، وحاولت أن تساهم في علاجي، وقد نجحت علي ما أظن، إلا أن المسكينة لم تكن
تعلم أو تدري بما تحببه الأيام لها، رحيمة أنت أيتها الأقدار.. في دعواتنا، فقط!

اليوم اللقاء الختامي لمسابقة مجلة (النبراس) الثقافية.

كل أعضاء الفريقين المتنافسين من الأصدقاء والمعارف، إلا أن وجهاً انضم - جديداً - إلى فريق
(أ) الذي تعيبت عنه (إيمان) لمرض والدتها، وبعد استئذان اللجنة المنظمة؛ تم السماح لهذا
الجديد بالانضمام عوضاً عنها، كنت أنا ضمن اللجنة المنظمة، التي بالطبع لا حول لها ولا قوة.
كانت (بمضى) من الحكام، الذين بالطبع في يدهم كل شيء، فهم يتحكمون في الأسئلة والوقت
المتاح وجودة الإجابة والدرجات اللازمة لكل.

الأخ الجديد هذا، اتفق الناس على أن يسموه (محسن)، شاب ضئيل الجسد، أسمر اللون، وجهه
مملوء بحب الشباب ولديه أثر لغزيتين فوق حاجبه الأيسر، صوته عال وقهقهته مجلجلة كأنه
(بمضى)، في خلال ربع ساعة تقريبا كان قد سخر من الفريق المنافس وإجاباته وبعض إجابات
زملائه وأعضاء لجنة التحكيم والجمهور والمسابقة والمجلة والكلية والحكومة حوالي مائة مرة!!

أووف، ياله من شخص منفر!

لا أعرف كيف يطبق هذا ال(محسن) الحياة مع نفسه، إن كان كل شيء سيئاً هكذا فليترك
كل هذا ويرحل عن دنيانا! وبالطبع نالت (بمضى) منه ما لا يسر، فبدءاً من جديلة شعرها الأسود
وانتهاءً بنبرة صوتها وحكمها على الإجابات وطريقة قراءتها وكل شيء، كان قد سخر منه، فوددت

لوقت وطرحته أرضاً ثم أوسعته ضرباً حتى يشبع، لا أحد يفعل هذا بـ(يمنى) ويفلت دون عقاب! وبالطبع انعكس هذا على الأسئلة الموجهة إلى فريق (أ)، بل والحكم على صحة إجاباته أيضاً. إلا إنه وألحق يقال، كان منقذاً لفريقه في أغلب الأحيان، وقد بدا لي - أنا الجاهلة - أنه يعرف كل شيء، وبالرغم من كل محاولات (يمنى) لإذلاله، إلا أنه تمكن من إدراك التعادل لفريقه.

لا مفر إذن، ستختار (يمنى) سؤالاً ومن يجب عليه يحرز لفريقه النصر. ولما بدا الفوز وشيكاً لفريق (محسن)؛ فقد تحتم على (يمنى) أن تختار سؤالاً لا إجابة له، وكنت أعرف تماماً السؤال الذي ستسأله (يمنى)، فقد حاولنا جميعاً مراراً وتكراراً أن نصل إلى حل له ولم نقدر، ولم نجد أحداً غيرنا استطاع، سيعلم (محسن) استسلامه، وسيرضى بالتعادل الذي سيُتيح للجنة الحكام اختيار الفائزين، أقصد فريق (ب) طبعاً. يا إلهي، كيف يجعلنا الخلق أشراراً هكذا، وكيف لضمايرنا أن تتراح!

كلنا نعرف أن (محسن) هذا مذهل، وأنه الفائز وحده اليوم، ولكن لو لم يكن وغداً هكذا، أحق هكذا، ربما تعاطفنا معه.

- كيف نستطيع بميزان ذي كفتين أن نعرف كرة ذهبية مغشوشة في الوزن (بالزيادة أو النقصان) وبثلاث ووزنات فقط، من بين اثنتي عشرة كرة متماثلة في الحجم والشكل والوزن، فقط كرة واحدة، زائدة أو ناقصة، وثلاث ووزنات؟!!

ها... ها... إنه السؤال المستحيل!

- أمامكم خمس دقائق..

ها، ها.. خمس دقائق.. فقط..

لقد كانت مهلتنا أسبوعاً، ومع ذلك لم نستطع حلها حتى الآن!!

إنه سؤالنا الخاص، لا أحد يقدر عليه، لا أحد، لا أحد، لا أحد، لا أحد، لا أحد..

- أول حاجة، نرقم الكور، من واحد لغاية اتناشر..

ثم سكت..

نظر إليه الجميع، التحفز في عيونهم، يودون لو يخطئ، عندها لن تكون رحمة ولا شفقة، وسيتم التنكيل به علانية أمام الجميع.

- وتنقسم ثلاث مجموعات كل واحدة أربع كور.

واستمر الوغد الاحمق الذي المبر المدهش، القبيح المزج المماح الساخر المرح، حتى النهاية، حتى النهاية!

هذا العبقري!

لقد حلّها، هكذا وبكل بساطة ومنطقية، تلك البساطة التي تجعل منا جميعاً مجموعة من البلهاء والحمقى.

إنه رائع، ودون وعي منها، وجدت (يمنى) تصفّق مبهورة لاهثة، نظرت لها، ودون وعي منا جميعاً وجدتنا نشاركها التصفيق، وقام (محسن) وتركنا، وترك المسابقة قبل إعلان نتيجتها وتسليم جوائزها، هكذا ودون مقدمات وكما حضر فجأة..

غادرنا فجأة..

هبت (يمنى) من على كرسيها وانطلقت في إثره.

أخذت أتطلع لكل ما يحدث وأنا ومازلت فإغرة الفم محلقة العينين لاهثة الأنفاس، إن العرض المسرحي الذي رأيته توا لكثير علي، كثير جدا.

هتفت به (يمنى) تناديه:

- (محسن)!

- نعم؟

- ليه سبتنا ومشيت؟!

- مش خلاص المسابقة خلصت؟

- بس انت كسبت، قصدي فريقك كسب والمفروض تستلم الجائزة بتاعتك.

- دي جائزة (إيمان) وأنا جيت مكانها النهارده بس علشان ظروفها.

- بس إ...!

- مفيش بس، ثم إن أنا بيتيأ لي إن الناس ما كانتش مبسوطه مني للدرجة دي..

- بالعكس..

الاعتراف الصدمة، الكذب يدلي بدلوه حين تنتهي كل الأعذار والأسانيد، هنا حيث يصبح من حق الشخص الواحد أن يعبر عن رأي مجموعة - حقاً - تخالفه الرأي..

نظرة فاحصة شاملة، متبادلة..

يمد (محسن) يداً مرتجفة..

- شكراً آنسة؟

- (يمنى)، اسمي (يمنى).

ثم أردفت:

- لازم تيجي علشان أعرفك على باقي المجموعة، مجلة (النبراس) ترحب بالأذكياء، دوماً، حتى لو كانوا لاذعين!

تبادلا ضحكة صافية، وتلألأت عيونهما، وفي هدوء سارا جنباً إلى جنب عائدتين، يتبادلان النظرات التي تحاول استشفاف ما قد جرى في سنين كل منهما قبل أن يتلاقيا.

أطرق (محسن) في الأرض مفكراً وهما يقتربان من القاعة، توقفت (يمنى) لوهلة.

- فيه إيه؟

- ولا حاجة..

- أمال باصص في الأرض ليه، ارفع رأسك إلى السماء ولا تخفضها، فالإله في السماء، والكائنات في الأرض.

نظر (محسن) بتركيز في عيني (يمنى) الواسعتين، حتى إنها لوهلة أجفلت وقال:

- على فكرة أنا آسف على الكلام اللي قلته عليكى جوه، أنا فعلاً...

- هههههههههه، حصل خير.

يبدو هذا فعلاً، وربما أكثر.

* * *

((.....))

وحيثما تلاقيا مرة أخرى..

قال أحبك، ما زلت أحبك، وسأظل أحبك..

هل تحبيني، لا تجيب..

انحدرت الدمعة الساخنة على خدها..

وحيثما همَّ بمغادرتها ثانية، سقطت..

في لهفة تلقفها ولكنها كانت قد ماتت، وحيثما شقوا قلبها ليعرفوا سبب الوفاة..

وجدوا اسمه ها هناك..

محفوراً من دم وعصب..

قصة قصيرة، بقلم (محسن جمال الدين)...))

نظرت لـ(يمنى)، بعد أن انتهى (محسن) من قراءة قصته القصيرة، فوجدت دمعة ساخنة صامتة تنحدر من عينيها، ولدهشتي وجدت خدي أيضاً مبتلاً.

قال (أمجد): جيدة ولكنها تحتاج لبعض التعديل، والخيال فيها مبالغ فيه.

هكذا، متحدثاً بالعربية الفصحى، أعطى (أمجد) لنفسه الحق في الحكم على الأمور.

قال (حازم): فعلاً، كويلسه يا (محسن)، بس بلاش دم وعصب دي، فيها قسوة شوية على قصة رومانسية، أو المفروض إنها كده.

(رمزي): لأ دي شديدة قوي، عايزين حاجة خفيفة علشان المجلة، مش عايزين حاجة فيها نكد.

نظرت لـ(محسن) متوقعة منه هجوماً لا ذعاً عنيفاً شرساً منتقماً، إلا أنه لم يكن هناك، كانت عيناه مصوبة نحو (يمنى) وكأنه يسألها رأياً، وكأنه لا يحفل البتة بكل ما يقال حوله، وهو لم يكن كذلك قبلاً..

- رأيت أنها رائعة،

حادّة، قويّة (يمنى) تلك!

- فعلاً، (قالها أحمد حسين ثم أردف) وبعدين حجمها مناسب للمجلة.

(محمود): على راحتكم.

(أمجد): ما نخط قصيدة أحسن، احنا مش متعودين نخط قصص.

(حازم): لأ، هيه دي اللي ها تتخط.

(يمنى)، وكالعادة، التفت الأعناق والتوت..

- رأيك إيه يا (إيمان)؟

من بين أظافرها غمغمت: مش بطالة.

وكان رأيها طبعاً حاسماً، وتم نشر القصة في عددِ المجلةِ القادمِ، الحق أنني كنت أتفق مع (رمزي) في أن القصة سوداوية ولا أدري حقاً سبباً وجيهاً لموت الحبيبة لمجرد أن الحبيب قد هم بمغادرتها ثانية، ولكن الأسلوب قوي وجيد، ويمكن القول إنه مختلف عن زنيق (حازم) وسرياليات (أمجد) وذكرياته، ثم إنها (مش بطالة) على رأي (إيمان)، أتريدون رأياً بعد ذلك؟

* * *

1 () جبران خليل جبران - دمة وابتسامة.

الجزء الثاني

الشجرة..

رمز للقوة، لأنها تخرج من حبة..

فنتشق الأرض وترتفع متحدية الطبيعة كالفرعون..

لكن الريح أقوى من الشجرة، لأنها تقلع الشجرة وتحطمها..

والجبل أقوى من الريح، لأنه يصدّها ويوقفها..

والحديد أقوى من الجبل، لأنه يخرج منه ويهدمه..

والنار أقوى من الحديد، لأنها تصهره وتذيبه..

والماء أقوى من النار، لأنها تطفئها وتخمدها..

والإنسان أقوى من الماء، لأنه يسخرها ويستخدمها..

والخمر أقوى من الإنسان، لأنها تسكره وتهزمه..

والنعاس أقوى من الخمر لأنه يغيب أثره..

والحب أقوى من النعاس، لأنه يعمل على طرده..

فيسهدنا، ويقذفه بعيداً عنا..

فيسعدنا، إذا ما رضي عنا..

ولشقيننا، إذا ما غضب منا..

والحب دوماً الأقوى..

لا يفنيه حتى الموت..

إذ رغباً عنه يبقى، لا يزول..

أو يتحول الى أسطورة..

(١)

((إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخر جليداً))

(عمر بن أبي ربيعة)

* * *

على البعد رأيناها قادمة، أحسست جسد (يمنى) كله يرتجف لدى رؤياه، كل مرة تراه يحدث أن ترتجف، كأنها المرة الأولى، كم أحسدها، أود لو يرتجف جسدي هكذا، أود لو أحس أني حين أرى كأنني أرى للمرة الأولى، لا بد أنها السعادة تلك التي أراها في عينيها، ولا بد أنها النشوة ما ترتجف جسدها كله، إنهما رائعين معا، لا بد أن أعترف بهذا.

جاءنا (محسن) حاملاً كوب النسكافية باللبن الذي تعشقه (يمنى) ولا تحيا بدونه، كأنني أحسب أن دم (يمنى) لا بد أن يحتوي على خلاصة النسكافية مضافاً إليها بعضاً من الكرات الحمراء والبيضاء وربما الحليب والسكر أيضاً.

- باللبن، وتلات معالق سكر علشانك يا ملاكي.

نظرت (يمنى) ذات اليمين وذات الشمال، وحين وجدت أن أحداً لا يراها، أخذت يد (محسن) وقبلت إبهامه، فارتبك وكاد الكوب يسقط من يده، تناولته أنا منه، وأخرجت (يمنى) منديلاً من حقيبتها لتمسح أحمر شفاهها عن إبهامه، إلا أنه رفض بشدة وقال:

- انتي اتجننتي؟ عايزاني أمسح مطرح شفائيك؟

ودون أي مراعاة لوجودي أو لوجود أحدٍ يراقبهما تناول هو يدها وقبل أناملها الواحد تلو الآخر، كنت أحس وعبي ينسحب مني تدريجياً، أغادرهما، بالرغم من أن جسدي ما يزال بجوارهما وبالرغم من أن يدي تمسك بالكوب الساخن. أنسحق أنا تحت وطأة رغبات داخلي مكبوتة، لم أكن أعلم حتى بوجودها، أعود لفارسي النبيل وجواده الأشهب، الذي يبدو أنه انتهى لتوه من تناول افطاره.

((... أين كنت يا حبيبي؟

- أوه، مليكتي، (ارتجف الفارس وهلة)

ثم أردف وهو يتأمل جسدي الذي يرفل في الفستان الأبيض ذي الدانتيل والذي شغلته لي
بيدها أعز صديقتي.

- يالقدك الساحر!

أهديته نظرة يختلط حسمها برقتها وزجرها بعطفها..

- هل جنت أيها الفارس!؟

فانحنى في حركة مسرحية كأنه يؤدي التحية لجمهور المشاهدين:

- وأنى لمن يرى ضيائك وسناك أن يحتفظ بعقله داخل رأسه؟

- إذا علم والدي الملك بوقاحتك، لربما طار رأسك كله ولما احتفظت به فوق كتفيك!

- كلي رهن إشب..

((.....))

- علياء!! علياء!!!

انتفضت، وأفقت، وتركت فارسي وجواده وعدت لعالمي الواقعي الغبي. وقعت عيناى أول ما
وقعت على الزهرة الحمراء الراقدة بجوار (يمنى)، وتلك البطاقة الرقيقة البارزة منها، لم أميز أي
كلمات فيها وهي على وضعها هذا سوى كلمة (إلهتي) بالإنجليزية. رقيق جدا (محسن) هذا،
ويمكن القول إنه غريب!

تساءلت عن سبب قطع أحلامي..

قالت (يمنى): هاقرأكم القصيدة الجديدة بتاعتي، كتبتها امبارح بالليل،

ثم أردفت: القصيدة اسمها، (قربان عشقك).

ولما عنّ الصمت، بدأت (يمنى):

((... ظلام كل حياتي بعدك..))

دموع كل الليالي بدونك..
سراب كان حلم جنوني..
نهار كان بريق جنونك..
موت أصبح لون هدوئي..
ضياء أصبحت دنيا سكونك..
لماذا كان قربان عشقك..
أشلاء قلبي ودفء عيونك!!؟

.....

.....

((.....

عذراً حبيبتي (يعني)، مضطرة أنا، ربما للمرة الأولى ألا أصغي جيداً لكل حرف تنطقين، فارسي
ينادينني، ولأبد لي من تلبية ندائه.. حسناً، فارسي العزيز..

أنا قادمة إليك!!

* * *

((ليس بين الجنون والعقل إلا

خطوتا سائر فحاذر وأمسك

أول الخطوتين نسيانك الناس

وأما الأخرى فنسيان نفسك))

* * *

أخيراً، وبعد طول غياب، عاد مسائي، كأنه كان في سفر طويل، لم أكن قد ودعته، وكنت مشتاقة إليه اشتياق الحبيب، خرجت (أمنية) مع أمي لزيارة أقارب لنا، ووالدي لديه اجتماع هام ولن يعود منه إلا متأخراً، البيت لي وحدي الآن، يمكنني أن أفعل ما شئت. بحثت بين أشياء، وضعت شريطاً في جهاز الكاسيت، في رقة كأنها الحلم ضغطت زر التشغيل، وفي هدوء ونعومة كأنها خدود العذارى، بدأت الموسيقى تنساب، حاملة شفافة متموجة كنسمة خفيفة تحرك سطح ماء البحيرة الصافي، (شهر زاد) الرائع (كورسكوف)، هي تذكر حقاً تلك الفتاة التي أدت الباليه المشهورة المؤلفة على المقطوعة آنخلادة، ذات الشعر الذهبي الطويل العجري المتموج كشلال هادر، حتى لكأنك تحس أن شعرها قد صار هكذا لما تداخل مع الموسيقى، هي أيضاً تركت شعرها حراً طليقاً، أغمضت عينيها، وبدأت تتهدى راقصة مع الموسيقى..

راقصة مع الموسيقى، تدور وتدور، كأنها فراشة، على وجهها ابتسامة من يرى حلماً جميلاً، أنفاسها تتسارع مع تسارع الإيقاع، وتبطئ حين يبطئ، تتلاحم وتتناغم، وتصبح جزءاً من كل والكل كله جزء منها..

.....))

والفارس جالس على عرشه / كرسي الملك..

انحنت أمامه، فترك عرشه / كرسيه ونزل، وحين أمسك يدها أغمضت عينيها رهبة ونجلاً..
ما عادت تحس بشيء مما يدور حولها..

وإذ أحست لفتح أنفاسه الحارة تقترب من يدها التي يمسك بها في رقة..

إذ تحس جسدها / كلها / روحها / قلبها / كيانه / يرتعش من فرط النشوة..

رموشها وأطراف أناملها، بل وجذور شعرها..

كل البهجة وكل السعادة..

وحين تمس شفثيه أناملها فعلاً، تتحوّل الرعشة الى رجّة تبدأ من يدها فذراعها فكتفها وحين تصل إلى جذور عنقها تبدأ تزحف هابطة سلسلة ظهرها ففخذها وساقها لتنتهي الرجة عند الظفر الأصغر من أطراف قدميها..

لا تعلم أهي برودة، أم حمى، أهي نشوة، أم تعذيب.. ما أعجب هذا الشيء الذي اسمه اللذة، وما أغرب صلته بالألم، ما أغرب...(((

- علياااا..

النداء الطعنة ثانية، هي لا تعلم لماذا يعتمد الجميع مقاطعة لقاءاتها مع الفارس، أيحسدونها على السعادة والهناء التي تطغى عليهما.

ألأنه وسيم، ألأنه فارس، ويملك جواداً أشهب، وفي حركة مفاجئة تتوقف (علياء) وتنظر، إنه والدها، والدها؟!!

- بابا؟!؟! ايه اللي رجعت بدري يا بابا؟!!

كان والدها شاحباً، يتنفس في صعوبة، فهتفت في ذعر بالغ:

- مالك يا بابا؟!؟! فيه ايه؟!!

- ولا حاجة تعبت شويه وأنا في الاجتماع فسبتهم ورجعت.

كان وجهه متهالكا، والعرق الغزير يملأ جبهته.

- إنت لازم تشوف دكتور حالاً يا بابا!

- ولا دكتور ولا حاجة، ما تقلقيش نفسك انت وخليكي في البتاع اللي كنتي بتعمليه.

على الفور تورد خديها واحمرّ لدى ذكره لما كانت تفعل، وأطرقت في الأرض نجلاً، محاولاً تلطيف الجو، اغتصب والدها قهقهة مريضة:

- إلا إيه المسخرة اللي كنت عاملاها دي؟!!

أحست بالسخونة داخل أذنيها، وصار بياضهما في احمرار الطماطم المجنونة. سعل، أسرع نحوه، أحست قدميه تحتلانته، استند على كتفيها، ساعدته ليجلس على كرسي بجواره،

- هاتيلي كوباية مية.

وهي على حافة البكاء، مسرعة لتحضر كوب الماء، غمغمت:

- وحياتي عندك يا بابا لنروح المستشفى، لو بتحب (علياء)، لو صحيح بتجيني!

سعل ثانية بشدة، وكانت قد عادت بالكوب الذي انسكب نصفه على قيصه، فك رباط العنق: أنا مخنوق، افتحي الشباك شويه!

- بابا!!! الظاهر الأزمة رجعت، احنا لازم نروح المستشفى حالاً!!!

مكاملة لامها على المحمول وأخرى لـ(يمنى).. سيارة الأستاذ (حلمي)، وثانية يستقر الأستاذ (محمد فرج) داخل غلاف من الألوان البيضاء!!

* * *

العناية المركزة..

مكان كأنه خلية النحل، الشغالات في رحلاتهن غير المنتهية لجمع رحيق العسل ومتابعة رسومات القلب وانزيماته، الهدوء البارد المقطوع بأنات الأجهزة والشاشات، الصوت الهادئ لحفيف الهواء الصادر من أسطوانة أكسجين مفتوحة، الدقات الرتيبة لضربات قلب مريض راقد ما بين الموت والحياة تراها على شاشة تليفزيون، خراطيم وتوصيلات معقدة، ومن خلف زجاجين، زجاج عينها وزجاج العناية المركزة، بل وزجاج ثالث أقم نفسه مكون من دموعها، كانت (علياء) تراقب الموقف، دمع قلة حيلة مرّ أحق منهمر في غرارة، حلقها جاف وخشن.

اضطربت في شدة حين مست كتفها لمسة (يمنى) الحانية.

نظرت لها، وفي ياس سألت:

- هوه هاميوت يا (يمنى)؟!

كان موعد (يمنى) مع البكاء قد حان الآن، وهي تحوّل لمستها الحانية تلك إلى حضن دافئ كبير يحتوي صديقة عمرها محرّكة رأسها في عنف نافية:

- بعد الشريا حبيبتى، بعد الشر!

هل سيبعد الإله الشر كما فعل قبلاً، كما تقول (يمنى)، أم إن الإله ربما لديه تصريف آخر للأمور!!؟

... (محسن)!!؟

كانت الدهشة من نصيب الفتاتين.

- (محسن)!!؟ (يمنى)..

لا تدري أهي سعيدة، لرؤيته، نفورة، لحضوره، أم فقط تريد أن تبدو في صورة المتحكمة في نفسها، المدهوشة، اجتماعياً، من تصرف حبيبها، بعد أن اعترفت به مؤخراً في هذه الخانة من العلاقات الإنسانية..

- (محسن)!!؟ (علياء) .

لم تكن تظن قبلاً أن علاقتهما تسمح له بالتواجد في وقت كهذا حتى لو كان حضوره مجاملة
ل(يمنى)، فعلى الأقل هي تعترف أنها في وضعها هذا محتاجة لكل إنسان، لو أن باستطاعته أن
يساعدها ويساعد والدها.

- سلامة بابا يا (علياء) .

- ادعي له يا (محسن)، ادعي له والنبي!

قطع عليهما الحوار جلبة حضور الأم و(أمنية) في بكاء مختلط بالنشيج، بل وجاء أيضاً الأستاذ
(حلمي) بعد أن ركن سيارته..

ثم، يا إلهي، لا يمكن أن يكون ثانية!

إنه دكتور (خالد) .

لا تنكر (علياء) أن قلبها قد خفق خفقتين زائدتين، إلا أنه عاد وضبط الإيقاع، كانت الليلة
ساخنة، والأحداث كثيرة قبل أن...

- الحمد لله، مفيش حاجة.

- شوية إرهاق.

- ده كان عامل زي الإنذار الكاذب!!؟ ها، ها..

كان الجميع في حالة عدم الاتزان.

(علياء) اعتقدت لوهلة أن كل هذا لم يحدث وأنها تحلم.

أمها، و(أمنية)، أجهشتا في البكاء ثانية، الأستاذ (حلمي) تهاوى على أقرب كرسي، و(يمنى)
بحث عن (محسن) فوجدته قد غادر، جميلة هي الحياة.

حين تمنحنا فرصاً ثانية!

* * *

((أشد ساعات الليل إظلاماً، تلك التي تسبق الفجر!))

* * *

((... بحصان مرهق، يأتي الفارس هذه المرة..))

يبدو أقصر قليلاً من المرات السابقة..

بل وأسمر أيضاً.. يبدو مرحاً..

وبعد أن يقدم لها زهرته الحمراء..

يقرأ لها قصة قصيرة من تأليفه..

ويختم قصته الرائعة بنكتة شبه فاضحة..

يصهل الحصان، وتضحك هي..

يعم المكان جو من البهجة لم تألفها قبلاً..

حتى فستانها، هذه المرة، أبسط، وأريح..

وعلى أنغام ناي سعيد، بدأ يرقصان..

يحلقان في سماء سابعة، ويغنيان..(((

بالرغم من ظلام الغرفة..

نظرت (علياء) جهة أختها فوجدتها تغط في نوم عميق، فوجدت أن الوقت مناسب للتفكير.. ودون وعي منها وجدت نفسها تفكر فيه.. (محسن)، ذلك الشيء الغريب الرائع الذي اقتحم عالم (يمنى)، وعالمها، بجرأة ووقاحة، بنعومة وقوة، بمنتهى الرقة والقسوة، في لطف، غاية اللطف.. لماذا يبدو فارسها الآن أقرب شياً به، ماذا فعل كي يجعلها تفكر هكذا، إنه يجب (يمنى)، و(يمنى) تحبه، وهي تتمنى لهما التوفيق، انتهت الحدوتة، فلماذا تشغل نفسها بالتفكير فيه؟ لأنه حضر إلى المستشفى؟ إذن من الأخرى أن تفكر في الأستاذ (حلمي)، أو (خالد)، أو (رمزي) الذي اتصل بها مطمئناً، أو (حازم)، فلا بد أنه قد كتب قصيدة جديدة بهذه المناسبة، لماذا (محسن)؟! لماذا هو بالذات، وماذا ستقول (يمنى) في ذلك، بل ماذا سيقول.. هو..

وللمرة الأولى تحس بالغيرة من (يمنى)، لأن بإمكانها أن تراه، تقبل أنامله، تقول له أحبك دون أن يحاسبها أحد، ترشف كوب النسكافيه الذي يحضره لها بنفسه.

كم هي محظوظة..

آه يا إلهي! هل خلقت دنياك الواسعة تلك، من أجل (يمنى) فقط؟!!

تأخرت (يمنى) اليوم على غير عاداتها، نظرت و(محسن) إلى ساعتينا، المحاضرة ستبدأ بعد قليل، وكان الأمر لا يعنيني، أو كان الشخص المنتظر هو أي أحد آخر سوى رفيقة دربي وأحلامي، كيف استطاع هذا ال(محسن) أن يشعرني بمدى هامشيتي في الحياة، حتى (يمنى)، أخذتها مني الأقدار المعروفة لنا الآن تحت اسم آخر..

.(محسن)

- هيّ ما قتل كيش إنها ها تتأخر، والموبايل بتاعها مقفول، (يعيد طلب الرقم الأخير)..

- المحاضرة خلاص قربت تبتدي، (يطلب الرقم ثانية)..

- تفكري حصل إيه؟! (مرة أخرى)..

- دي تأخرت خالص، (أسمع صوت الموبايل، هذا الرقم قد يكون مغ...)

عذراً..

ولكني لم أنطق أياً من الجمل السابقة، بل كلها من نصيب (محسن) كأنها متوالية حسابية، ياله من مسكين، إنه غارق فيها حتى الثمالة..

- ممكن تتصلي بيها في البيت تشوفها نزلت ولا لأ علشان أنا ما ينفعش أكلها في البيت؟

متلذذة أنا وأنا أراه هكذا.. في إخلاص أجبته:

- حاضر يا (محسن)، تعالى تتصل بيها.

لم يكن هناك أحد بالمنزل، فجلسنا نستأنف الانتظار.

رأيت من المناسب أن أتحدث، فسألته:

- كتبت قصص جديدة؟!!

- لا. (قاطعة حازمة).

فترة صمت.

- قرئت كتب إيه حلوة قريب؟

- ولا حاجة. (مقتضبة).

صمت جديد.

سألت نفسي، لماذا أنا لست قلقة على (يمنى)، كعادتي سابقاً، هل أسلمت قلقها كله لهذا الـ(محسن)؟

القلق على وجه (محسن) حل مكانه الحزن، وبعض الغضب.

كان موعد المحاضرة قد جاء، ولم تأت (يمنى).

فسلمني (محسن) زهرة (يمنى) الحمراء ومعها البطاقة المعتادة..

وبوجه حزين مطرق قال:

- أنا ماشي يا (علياء)، والنبي لو (يمنى) جت، قولي لها إني فضلت مستني، وبعدين مشيت، إديها الحاجة دي، وخليها تبقى تكلمني.

رقية هي هذه الزهرة.

غادر (محسن)، فقرأت البطاقة في طريقي للمحاضرة:

((... إلهتي، ملجأي وملاذي، يا كل ما أرجو ومن الدنيا أتمنى، ياملِكَا، يا حورية من أحلى جنة، أحبك، لأنني لم أجد كلمة أخرى أعبرك بها، أقدم لك كل ما تتمنين، بل حياتي نفسها، مع وعد بسيط منك، أن تجعليني خادماً لديك...))

ضبطت تلك الدمعة الساخنة تلهب مقلتي وتجاهد للهبوط على خدي، وبعد جهد مني، نجحت، وهبطت، أحسست بسخونة أنفاسي وتسارع نبضاتي، اااه، يا لشقائي، أين أنت أيها الفارس الملعون، كي تنتشلي!!

* * *

مر اليوم كما مر الكثير من قبل.. وسيمر المثل من بعد بنا أو بدوننا، نظن وهلة أنه يمكننا أن نغير، أو على الأقل أن نتغير.

أخيراً، تحدثت مع (يمنى)، سألتها عن عدم حضورها فتعللت بإرهاقها، وعن عدم ردها على التليفون أخبرتني أنها كانت قد جعلته صامتاً كي لا يزعجها أي أحد، أما عن موعد (محسن) فقد نسته تماماً، ربما - أيضاً - لإرهاقها الشديد، إذ هما يسهران الليل يتحدثان، وبالنهار هما يتقابلان، وبالمساء يذاكران، لم تكن (يمنى) لتظن أن الحب مرهق هكذا، يستنزفك ليل صباح، ويفرض عليك حظراً للتجوال، ويملي عليك إرادته على رغبة أو كره منك، هي لم تعتد على هذا قبلاً، وتجذب صعوبة في قبوله الآن، وهي خائفة، خائفة حقاً، من يوم قد تفقد فيه (محسن)، أو حتى ترتبط به، هي تخاف لدى رؤيته من أن تؤذيه، وخائفة إن لم تره، أن تؤذي نفسها، واذ تنظر للأمر برمتة، ترى أن عاطفتيها الجارفتين قد تجرفهما في طريقها، هي الآن صارت لأتقىم وزناً للناس وكلامهم، تتحين الفرصة وتختلس الوقت، تمنى نفسها بالمذاق الرائع لأنامله على شفيتها، ولا تحس بالأمان إلا إذا مست نفس الأنامل جلدها، لقد صارت ترى طيفه في كل الأشياء، وبقدر ما يسعدها هذا بقدر ما يزعجها من أن يكتشف أحدهم استغراقها في تأمل هذا الطيف، لقد كانت تود لو كان (محسن) هذا مجرد أي أحد آخر، هؤلاء العمليون السفلة، الذي لا يقيمون وزناً للمشاعر والأشخاص، الذين يبدلون الحياة على شكل معادلات حسابية، يعشقون السين والصاد، ولا تكون إجاباتهم سوى بالأرقام الصحيحة.

اليوم هما مدعوان لحفل راقص ينظمه بعض الشباب بالجامعة، وهي لا تعلم كيف تتصرف، ترى ماذا تكون الكذبة التي ستكذبها اليوم حتى يمكنها اللحاق به في رحلة بحثيها عن الجنة الموعودة؟!)

((صمت أذني عن النجمات الصاخبة..

أرخت رأسي خلفي..

وإذ ذاك طرقت أنفي رائحة غريبة..

وسقطت على حجري زهرة..

فتحت عيني على غير إرادة مني..

وإذ رأيتك..

ابتسمت لي فجراً وبشراً..

وإذا ذاك برز الكرسي يجاورني..

- أووووف، إنها حفلة مملّة على أي حال..

لا أدري ما الذي دعاني لحضورها..

نطقت الجملة من لساني، وجلست..

وعلى نفس الطاولة أمامنا، وضعت قدميك..

القطعة تموء ثانية..

يرتخي رأسك على كتفي..

أعطيك الزهرة من حجري، تسمينها..

وأنفك يهديها الرائحة..

نسمع أصوات الحفل، صاحبة، ماجنة، من بعيد..

نكتفي بالابتسام..

لا نعود نريد مغادرة الحفل..

الذي بدأ..

قصة قصيرة بقلم (محسن جمال الدين) (٠)

كأني الدمعة المتألثة في الركن القصي لعيني (يمنى)..

فهي لم تتمكن من الذهاب للحفل، ويمزقها بطبيعة الحال هذا النوع الرقيق من العتاب، كانت هذه هي اللحظة التي وجدت نفسي فيها يتهدج، هل كان ما منعك يا (يمنى) يستحق!!؟

يا ليتني كنت مكانك، يا ليتني، إني أحسدك يا (يمنى)، وأنت، لا أعرف، لماذا، أنت؟! لا أقدر إن أتففس، أنظر لـ (محسن)، أرى تلك النظرة المنكسرة في عينيه، يغزوني جنين جارف، كأني أمه، فأحسني أتلقفه في صدري، وأربت على كتفه وظهره في حنان لا بد أنه يفتقده..

- حلوة، حلوة قوي..

قطعت انفعالاتي، واختصرت الطريق على بكائي، وأعدت الانتظام لتنفسي، وأخبرته برأيي حقًا، كأنه يحتاج إليه، يحتاج شهادتي أنا، الشيء الهامشي الصغير، أعقب كهاتي فترة صمت بدت غريبة علينا، عينا (يمنى) ملتصقة بعيني (محسن) وعينا أنا احتارت ما بينهما، أنفاسنا نحن

الثلاثة في صمتنا هذا قد بدت كمعزوفة نشاز، لا تناسق بين نغماتنا وبين النوتة الموسيقية، كانت (يمنى) حينئذ تغرس أظفارها في كف (محسن)، تضغط يشدة، أرى الألم على وجه (محسن)، لكن لم يند عنه أي صوت، جرت (يمنى) على أسنانها وزرت عينيها وهي تجمع كل قواها من أجل أن تصبح آلة لغرس الأظفار، الألم أحسه يشد على (محسن)، ولكن الصمت ظل صمتاً، والاحتمال صار معجزة أراها أمام عيني، واتسعت عينا (محسن) عن آخرهما، وهنا فقط استعاد وجه (يمنى) سيرته الأولى، وكان دوري أنا لأصاب بداء الاندهاش، فأنا كنت أرى كف (محسن) ينزف دماً..

ألا يتألم هذا الإنسان أبداً!!؟

العرض الأسطوري أمام عيني يكتمل بمشهد (يمنى) وهي ترفع كف (محسن) النازف إلى شفيتها، وكأنها قطعة سيامية بدأت تعلق في شبق قطرات الدم في كف (محسن).

كنت مبهورة بما أرى، لا أعرف أي تعليق لما يحدث.

بدأ جسدهما يرتجفان في حدة، أغمضا عيونهما وهما يخلقان في أفق لا أراه، بل لا يراه أحد غيري.

((تذكرت أني نسيت زهرتها الحمراء اليوم..))

اعتراني الندم، فكرت فيما يمكن أن يكون تعويضاً عن خطئي الفادح..

وجدتني أتمم ((أهديني))

قالت ((انظر الجهة الأخرى))

كانت تلك اللحظة التي توصلت فيها للهدية المناسبة..

أخرجت شيئاً حاداً..

جاءني صوتها، يحمل نبرة ألم، ((الآن))..

كنت قد انتهيت، التفتت، مدت نحوي إصبعاً ينزف..

عيناها نصف مغلقة..

((ارتشف، إني أهديك دمي، ارتشف))

مذهولاً..

مددت إصبعي - أنا - النازف..

إلى شفّتها..

قصة قصيرة بقلم (محسن جمال الدين) ((

أوه، ياإلهي!

لا أستطيع أن أعيش هكذا.

إني أحبه، أجل أنا أحب (محسن)!

هذا ما يجب أن أعترف به، فلترحمني يارب.

وتلهمني الصبر والسلوان..

* * *

ولما سلت رحيقاً يصنع راحة كفك..

ثم صعدت أريجاً يملأ واحة أنفك..

ثم سقطت..

جاء الصوت الغائر في البیداء..

يقول اقتربي..

إني جئت اليوم من علياء..

كي تقتربي..

أو تنتحي..

أو تضطربي..

أو تتلاشي في أحضاني وقت

بكاء..

((لحظة بكاء))

شاعر مجهول

(٢)

ما زال المنظر الأسطوري يزورني في أحلامي، ويقض عليّ مضجعي ويحولني إلى أداة استفهام برقة معقوفة ونقطة أسقلي. (يمنى) وهي ترشف دم (محسن)، ترى ما هو كنه هذا الشيء الذي اسمه الحب؟ هل هو مصنوع من مادة نورانية كالملائكة، أو من نار كالشياطين، كيف يغزونا هكذا ويسيطر علينا بلا جنود أو أسلحة، أهو عدوى من نوع ما؟! ميكروب مثلاً، وباء فيروسي غريب وقد انتقلت لي العدوى من (يمنى)، وإذا كانت الأقدار قد حكمت علينا هكذا بالمعاناة، فما هي اللذة فيه إذن، أم تراه قد صدق من ربط اللذة بالألم، ماذا فعلت بنا يا (محسن) فصيرتنا هكذا؟! أي مفتاح هذا الذي حصلت عليه، وبأي حق؟! هه؟! أخبرني يا (محسن) من أهداك مفتاحي، ومن أذن لك أن تفتح خزانة أسراري هكذا، ومن أخبرك كلمة سر باب المغارة، أم تراه ياب جهنم؟! لماذا يا (محسن)، لماذا فرضت عليّ حبك المستحيل؟! أنت تعرف هذا جيداً، وأنا أيضاً أعرفه، فلماذا فعلت هذا، لماذا كنت رائعاً هكذا، مؤهلاً هكذا، مدهشاً - لي - دوماً، لماذا صرت فارسي وأحضرت معك جواداً أشهب؟

أنا أكرهك، أجل أكرهك يا (محسن)، لأن ما تفعله بي ليس من حقك، أكرهك، لأنك لا تعرف ما أخبئه لك، لا تعلم كيف سأكون جاريتك، أغسل قدميك حين تعود متعباً، وأدلك لك ساقيك، ويدي الماهرتين المدربتين سأزيل كل أثر للإرهاق من جسدك، سأنتظرك كل مساء، كزوجة رجل كهف نشطة، فأبتسم في وجهك وأعد لك وجبة عشاء ساخنة، سأفعل كل ما تريد بل كل ما تحلم به قبل أن تتمنى، سأكون أمك، وأختك، وصديقتك، بل وعشيقتك السرية إن أردت.

أكرهك يا (محسن).

أكرهك، لأنني لا أملك رفاهية أن أحبك.

* * *

كان موعدنا كي نتلاقى، نحن الثلاثة في الكلية، حيث سيشرح لنا (محسن) بعض الأشياء التي لا نفهمها، وهي كثيرة، حتى لوددت يوماً لو ألغوا جميع المحاضرات وقدموا لنا (محسن) بدلاً عنها، فهو يتمتع بموهبة مذهلة في تبسيط الأمور وجعلها ساذجة منطقية.

النسكافيه باللبن، ل(يمنى).

الزهرة الحمراء والبطاقة، ل(يمنى).

ثم، أخيراً، جدًا، أهلاً وسهلاً، ل(علياء).

حسنًا، فارسي النبيل يمكنك الاستمرار في معاملتي ككم مهمل هكذا حتى.. أقتلك!

شكرًا لك على أية حال.

ثم غرقت كلتانا - أنا و(يمنى) - في بحر من متع بريئة اسمها (محسن)، وصوت (محسن)، وتعليقات (محسن)، وحركات وجه (محسن)، وإشارات يدي (محسن)، و.. و..

حتى انضم إلينا (علي) بالطبع.. و..

آه!

لقد نسيت أن أخبركم من (علي) هذا.

إنه شاب رائع، وجاد، وإلى حد بعيد مثقف، لسبقنا في السن بحوالي ثلاث سنوات، بما معناه أنه أنهى دراسته الجامعية، وصار الآن يعمل مندوبًا بإحدى شركات الأدوية الكبيرة ذات رأس المال الأجنبي، يرتدي الحلة الكاملة ويضع عطرًا من نوع ما ويملك سيارة مهداة من الشركة ويحمل حقيبة بها عينات أدوية في يده.

رائع جدًا، أليس كذلك؟

وبصفتي أنثى طبعًا، إن لم يكن لدي أي منكم مانع، فقد كان واضحًا جليًا، أن هذا الـ(علي) معجب بي، ولا أخفي عنكم سرًا أنه ما صار يقابلنا إلا من أجلي، يتحين الفرصة تلو الفرصة كي يرانا، ويجلس معنا، وتتجاذب.. أقصد أتجاذب معه أطراف الحديث، الذي دائمًا ما يكون لطيفًا للغاية حين يتلقفه كل من (محسن) و(يمنى)، وإذا به ينظر لي فيما يشبه الاستغاثة، ولبدائه بعض الشيء، يبدأ العرق يغزوه سريعًا، فيفك الزر الأول للقميص ويوسع رباط عنقه، بينما داخلي يتمزق من الضحك.

رائع جدًا، (علي) هذا..

- خلصتوا مذاكرة ولا لسه؟ (علي).

- لسه خمسة كدة يا دكتور. (محسن).

- طيب، أنا هاقعد جنبكم من غير ما أنطق ولا كلمة لحد ما تخلصوا.. (علي).

- لو وراك حاجة روح اعملها وتعالى. (أنا).

تنظر لي (يمنى) في قسوة كأنها تؤنبنني، يرتبك (علي) فينزف عرقاً غزيراً: لا، خلاص، أنا خلّصت والحمد لله، الشغل اللي فاضل بالليل في عيادات الدكتور.

- اتفضل استريح واحنا خلاص هانخلص. (يمنى).

عينا (علي) المثبتة علىّ توترني فلا تجعلني أفقه حرفاً مما يشرحه (محسن)، وأتعمد أن أسأله حتى يطيل في شرحه، يتبادل هو و(يمنى) النظرات، أما وجهي أنا فهو البلاهة والبلادة بعينها، أنا بريئة مما تتهمني به، والله العظيم أنا غير فاهمة لأي شيء مما تقولان، ليس جميلاً البتة أن يبدو المرء غيباً هكذا أمام إنسان من المفترض أنه معجب به، أنا فقط أريد أن أفهم ولكن عيني هذا ال(علي) تمنعني.

غريبة هي إرادة الإنسان، ما الذي يجعلنا نحكم حكماً مسبقاً على الأمور هكذا، كيف يرى المرء شخصاً فيقرر أن يستريح له أو لا يستريح، أهو شكلهم، صوتهم، شيء في ملامحهم، طريقة كلامهم، أم تراها نظرات عيونهم، إن كان كذلك فكيف نقرر مسبقاً أن نرتاح لإنسان غير جميل، أو صوته أجش، أو أعشى بعيون مغلقة، سر هو من أسرار الإله.

ما الذي يعنيه كل هذا، لا أعرف، ربما هو تمهيد لقولي إنه بالرغم من كل ما يبدو عليّ من عدم قبول، إلا أنني أحسست بالارتياح لهذا المدعو (علي).

مفاجأة، أليست كذلك؟!

هي كذلك بالنسبة لي، ما رأيك أنت يا (محسن)؟!

ربما كان هذا السبب كفيلاً لنا جميعاً لكي نقبل دعوته لنا على وجبة الغداء في نفس هذا اليوم، والمكان متروك لنا كي نختار، أعتقد أن فندقا من ذوي النجوم الخمس، وطلب غداء يكلف مرتب شهرين حتى في شركة الأدوية تلك لكفيل بجعله يفكر ملياً قبل أن يكرر عرضه هذا، أو ربما الحضور لمقابلتنا أساساً!!

جميل جداً حين يكون المرء شريراً، ولو قليلاً..

* * *

- المطعم ده على فكرة ممتاز جداً وأسعاره كويسة، أنا عارفه من قبل كده علشان كان عندنا اجتماع تبع الشركة بتاعتي وعملناه هنا.

- والاجتماع كان عن إيه؟! (محسن بتخايب).

- كان عن... (علي).

- يا دكتور، (محسن) بيهزر معاك. (يمنى مقاطعة).

- هو دائماً يتتريق كده. (أنا).

- لا أبداً والله يا جماعة، أنا كنت عايز أعرف اجتماع إيه اللي بيتعمل في مكان زي ده، وكان فيه بنات حلوين ولا لأ، وحاجات زي كده.

كادت تند من (يمنى) ضحكة إلا أنها كتبتها، وابتسمت أنا، وقرصت (محسن) في ذراعه، بينما صمت (علي) بعد أن فقد الثقة في الفارق بين الجد والهزار.

كان المكان رائعا، ويطل على النيل العظيم.

هبّت نسمة باردة، اقشعر جسد (يمنى) فاقتربت من (محسن) ملتصقة، فأحسبت أنا بالبرودة، ونظرت لـ(علي)، فبدت على وجهه الحيرة، وصلتني رسالته، لقد كان يود لو أتي ألتصق به هكذا أيضا، كلا عزيزي (علي)، لم يحن الوقت بعد، ولولا الملامة لكنت التصقت بـ(محسن) من الجهة الأخرى.

عذراً، أنت اخترت، وعليك أن تتحمل، ربما حينئذ تنجح في أن تلفت نظري إليك، إن ثمني لهو أعلى قليلا من غداء في مطعم على النيل، حتى لو كان رائعا، عليك أن تكون فارسا، أنتفهم ذلك؟

قام (محسن) مع (يمنى) للتمشية قليلاً حتى يأتي الطعام.

اقترب مني (علي) قليلاً مستفيداً من وحدتي وغياب عزوتي:

- نفسك في إيه آسة (علياء)؟!!

- كوبة ميه.

لم يبد عليه الغضب رغم سخاوتي، إنه لمثابر حقاً، لقد بدأ يعجبني هذا الفتى رغم كل شيء...

- لا، قصدي المستقبل، نفسك في إيه، تكوني إيه، تتجوزي مين، تخلفي ولا لا، تجيبي كام عيل، تربيهم إزاي، كل حاجة، إيه هيا أحلامك؟

- وانت يهملك في إيه إنك تعرفها؟

- أنا مش شايف إنه سؤال شخصي أو محرج، ده مجرد سؤال، حوار يعني، ولا انتي مش عايزاني أتكلم؟

لا أدري لماذا أنا عدوانية هكذا معه، ليس ذنبه أي أحب رجلاً آخر، ليس ذنبه البتة، إن الرجل ليحاول، وأنا لا أمهله أي فرصة.

- انت عايز إيه بالضبط يا (علي)، هه؟!!!

ونظرت له في أم عينيه، كانت لحظة المواجهة، عليه أن يكون فارساً وشجاعاً، أو ليرحل!

- فافكرة أول مرة شفتك فيها يا آنسة (علياء)؟

ونظر للسماء، بينما جعلت من راحتي يدي وسادة يستند عليها ذقني وأنا أراه يسترسل، يصف لي أحلامه، ويعترف لي دونما ضغط من أحد..

- كنت جاي أزور (حازم) صاحبي، وكان عندكم اجتماع في المجلة بتاعتكم، أحلف لك بالعظيم، إن أول ما دخلت عليكم حاجة فيكي لفتت نظري..

وجهت له نظرة صارمة:

قصدك إيه يعني؟ انت كنت جاي تزور صاحبك وتشوفه ولا تبصص للبنات اللي قاعدة؟

وبدأ العرق يغزوه، كلا يا رجل، عليك أن تتحمل الآن، لا تسقط مني وسط الطريق، طريق الفروسية صعب، عليك أن تحاول أكثر من ذلك!

- لا، لا، أبدأ، والله العظيم ما أقصد حاجة من اللي في دماغك دي، أنا راجل مستقيم مش بتاع الحاجات دي، كل الحكاية إن.. إن..

غزانا صمت مؤقت، بدت عيناه قلقة متألقة، مختلفة عن أي مرة وعن كل مرة، أكاد أرى الكلمات مكتوبة كأنها الترجمة لفيلم أجنبي ما بين الرمش وأخيه، ترى ماذا تكون أنت أيضاً يا (علي)؟ بعد فترة، وبعد أن بدا لنا أن لغة الحوار انقطعت، وجدتي أستأنف ما كان قد توقف:

إن إيه يا (علي)، اتكلم..

نظر في الارض مطرقا، أدركت لحظتها أني أجلس أمام تعيس اخر، وربما أكون أنا السبب هذه المرة.

يا ويلى أنا يا ويلى، أليست فكرة عظيمة ألا أكون؟

فقط لا أكون، سيكون العالم حينئذ مكاناً أجمل للعيش فيه.

- طول عمري يا آنسة (علياء) وأنا مثال للإنسان المثالي الملتزم، حاضريا ماما، حاضريا بابا، أنجح كل سنة، متفوق، مؤدب، باصص في الأرض، طموحي كله الستر والصحة وعيشة كويسة، وبنت حلال تاخذ بإيدي في سكة طويلة ووحشة اسمها الدنيا..

يبدو أن تمزيق قلبي قد صار هوية لشباب البلد هذه الأيام، هذه المقدمة لا تبدو مريحة لي على أي حال..

- وفعلاً، فضلت كده ماشي على الصراط المستقيم، لغاية ما...

لقد سكت ثانية!

أيها الوغد تكلم! هذه هي الدقائق الحاسمة في الفيلم الهندي الذي نعيشه، هيا قلها وأرحني، هيا أكمل سطور حوارك المكتوب سلفاً، أسمعي ما أعلم أنك ستقوله..

- لغاية ما شفتني، مش كده؟!..

لا غبار علىّ من أن أقوم بدور الملقن في المسرحية ما بين آن لآخر.. ارتفع بناظره ليقابل مستوى نظري، عيناه فيها من الأسئلة ما يفوق عدد الأجوبة، شفتاه لم تحركا ساكناً، فقط أوما برأسه أن نعم، مبلولاً، غارقاً في بحر من العرق، أوما بالإيجاب، هيا يا (علي)، لا تضيع الوقت، الفرصة أمامك الآن، انتزها يا رجل.. و.. و..

- ها يا ولاد؟! عملتوا إيه واحنا مش موجودين؟ او عوا تكونوا انشاقيتوا!

قاطعتنا (يمنى)، بمرحها المعتاد.

نظر لنا (محسن) في قلق كأنه أدرك أهمية ما كان بيننا من حوار،

نظرت لـ (يمنى) فيما يشبه العتاب.

نظر لنا (علي) جميعاً وبدا كأنه أفاق لتوه من غيبوبة عميقة، استجمع شتات نفسه وتخنح، كانت تلك هي اللحظة المناسبة تماماً كي يوضع الأكل أمامنا، ستكون لحظات الأكل متوافقة للغاية مع

المبارزة بالنظرات التي بدأناها، (يمنى) تنظر لـ(محسن)، (محسن) ينظر لي، أنا أنظر لـ(يمنى)،
و(علي) ينظر لنا جميعاً في حيرة.

ترى من يفوز في النهاية في معركة.. بلا أسلحة.

* * *

الكل يزعق، حاولوا أن تهمسوا
والعصر يعبس، فابسموا لا تعبسوا
عز الحوار، وعز أيضاً وأده
وعوت وحوش زمانكم فاستأنسوا
ولقد تكهرب كل شيء حولكم
مدوا اليدين وحاذروا أن تلمسوا
منظومة العصر الشقي تزامت
فيها المنابر والنظام المخرس
لكنكم روح السراج إذا خبا
فاهفوا إلى نجم نبيل واقبسوا
لا تصرخوا في الصارخين فتغرقوا
أو تغرقوا فيهم بالألأ تنبسوا
فالصمت - أيضاً - كالصراخ خطيئة
والفصد يوجبه احتقان مبيئس

- رشق الهمس -

(عصام الغزالي)

من ديوان: هوى الخمسين

(٣)

((غفا الفارس قليلاً بجوار جواده، وأصابعه لا زالت مثبتة على أوتار الجيتار الأسبانيولي الذي كان يعزفه.. وإذ أنا أراقبه في غفوته تلك عن البعد، كأني أصلي صلاة من نوع ما..

إذ يقتحم علينا الضريح رجل يرتدي ملابس العامة..

أغمض عيني نصف تغميضة فأراه يراقبني في وِجِل، يكاد يقبل قدمي، ثم انحنى على الجيتار يريد أن يأخذه ليعزف به هو الآخر نشيدا وطنياً، أو أغنية عشق قديمة.. وإذ ذلك..

يفيق الفارس من إغفائه، يقبض على الجيتار بيد حديدية، يسهل الجواد في اعتراض..

باليد الأخرى يدفع العامي بعيداً..

مبلولاً، غارقاً في بحر من العرق، يبدأ العامي في التراجع..

فتحت عيني، كادت تندمني شهقة، أحسني لوهلة متعاطفة مع هذا العامي الجريء، إلا أنه يبدأ الجري بعيداً، واضعاً ذيله بين نخديه.. يبتسم الفارس في ثقة..

ويزار في صوت مسموع..

فأدرك كم قوته وجبروته، رحماك فارسي، ألطف بي، حتى تلتف بي الآلهة..))

* * *

لماذا لم تقلها يا (علي)؟ أكانت ثقيلة على لسانك الى هذا الحد، أهي صعبة تماماً أن تقول أحبك يا (علياء)، أعبدك يا (علياء)؟ كلمة، فقط كلمة، لم تكن لتكلفك كثيراً، ولكن ربما، أجل ربما كفت لتفوز بالمعركة، أليست أفضل من كلمات مثل، (أصل أنا لما شفتك)، (وأصلك بنت كويسة قوي)، كأنك تشتري قطعة أثاث، كأنني شيء ما تعبر أنت عن جودته، أنت حجر أصم، أنت لا تعلم ما أمر به، لا تعلم كيف أتمزق كلها تقع عيناى على (محسن)، ذلك الإدمان اللذيذ، ذلك الديكتاتور المحبوب، أحقاً لم تقدر، لم تواتك الشجاعة؟ أهكذا تركني أصارع الأقدار وحدي،

أصارعك وأصارعني وأصارع (محسن) .. لست بـ(غاندي) لتكسب معركة سلمية، إنها حرب شرسة، ويبدو أنك أبدا لن تعلم مدى ضراوتها..

أنقذني يا (علي) أرجوك!

الحقني قبل أن أغرق تماماً، بعيداً عنك..

علي العموم يا دكتور، سأعطيك مهلة أخرى، وسأمنحك الفرصة الثانية، ولكن أقسم بالله إنك لن يمكنك أن تحركني بعدها مهما فعلت، إنها فرصتك الأخيرة يا رجل..

تشبث بها، وإلا..

* * *

كما الحلم تماماً، اتصل بي (محسن)، صوته ليس على ما يرام، مهزوزاً، مهزوماً، محتاجاً لي وبشدة، كنت قبلها بثوان قررت أني سأقاومه وأقاوم ما يفعله بي..

كالبكاء تماماً، أو هكذا ظننت أني أسمع..

- أنا محتاج أشوفك ضروري يا (علياء)، فيه حاجات لازم أقول لك عليها، (يعني) بتتصرف معايا بطريقة غريبة وأنا مش فاهمها.. أنا.. أنا..

تلعثت الكلمات، وتهدج صوته، وصارت أنفاسه صاحبة تصرخ داخلي وتحركني رغماً عني:

- بس، يا (محسن)، أنا في الحقيقة ورايا حاجات في البيت، وبعدين بابا تعبان شوية وماقدرش أسيبه دلوقت!

قابلني صمت من الجهة الأخرى، فصار قلقي كالحرير تماماً، يلتهمني ويعذبني، هتفت:

(محسن)، (محسن)!!

وفي هدوء قاتل، تنأى الى أسماعي صوت بكائه، بكاء حقيقي هذه المرة، بكاء (محسن)، رباه هل هذا صحيح؟! يالي من مسخ حقير! كيف تصل بي الأمور إلى هذه الحد؟ أترأه حياً لـ(علي)، أم هو كره لـ(محسن) وانتقام منه.. أم مزيج من هذا وذاك؟! كلا يا حبيبي لا تبك، أرجوك لا تبك، اشتمني، وبخني، أغلق السماعة في وجهي، صفني بالحقيرة، بالبشعة، ولكن لا تبك!

علا صوت بكائه، وصار نشيجاً..

- خلاص يا (محسن)، خلاص يا حبيبي، خلاص هاجي..

استمر (محسن) في بكائه، فأدركت أن حالته سيئة للغاية، إلا أنني أحسسته يحاول التماسك، وبالتدرج تحول تشيجه إلى نهبة خافتة وشهقة ما بين الحين والآخر، بصوت مستسلم مقهور كفارس ذليل أمام أميرته وحببية قلبه، فقد سيفه وعزته وكبرياءه، غمغم:

مت.. متشكر، ميرسي يا (علياء)،

عضضت على شفتي ندماً متذكراً نعتي إياه بحبيبي فيما يبدو أنه زلة لسان مقصودة من عقلي الباطن، هذا الوغد اللعين الذي لا يفتأ يذكرني بوضع هذا الـ(محسن) بالنسبة لي:

حاضر، هاجي، حاضر هاجي، أنا جاية.

يا حبيبي؟! أليس كذلك؟! لم لمر أكرها مستغلة حالة التشويش التي تعتريه، أليست أبحث عن زلة من لسانه أنا الأخرى؟! ياله من سؤال صعب للغاية، والوقت غير مناسب للغاية، كم طريقة توجد للإجابة يا ترى، أم إن الأسم ألا توجد إجابة؟ لا أعرف من أين جاءت هذه السخونة الشديدة، إن الحر لحاقق فعلاً والرطوبة عالية والتهوية غير جيدة بالمرّة!

«لأ هو مش حبيبي»، قلت لنفسي، إنه حبيب حبيبي وصاحبتي وأختي، بل أكثر وأقرب لي من أختي، أليس كذلك؟!

كان الإنكار يقتلني كالأعتراف تماماً..

ما الذي يمنعني من أن أصرخ هاتفة باسمه ومعترفة بكل شيء؟

بأنني أراه في أحلامي، أنني ما تمنيت أن يلبسني غيره، أن أركع خادمة تحت قدميه، أن أتوغل داخل شعره بأناملي، أن...

- ها توصلي بعد قد إيه؟ نتقابل في الكلية؟

- بس مش انت شايف إن الوقت متأخر شوية؟

- الساعة لسه أربعة، يعني لسه وقت كثير قبل الليل ما يبجي، أرجوك يا (علياء)، أنا فعلاً محتاج لك!

- حاضر يا (محسن)، مسافة السكة، هاركب تاكسي وأكون عندك.

- متشكر، متشكر يا حبيبي.

وأغلق السماعه، حبيبي؟! هه؟!!!

هاهي زلة اللسان التي كنت أنتظرها، أليس كذلك؟! إلا أنها تبدو تماماً كخصه في حلقي، أو كأنها قطعة معدنية سقطت سهواً من ثقب في جيبه!! أول مرة أسمعها منه، ولا يعنياها، ولكن ماذا يعنيني؟ المهم أن لسانه نطقها، سأظل متعلقة بهذا الأمل، أن يعنياها ذات يوم وهو ينطقها، أهو مستحيل تماماً يا إلهي?!!!

* * *

- لما كنت أشوفها، كنت أشوف القمر في السماء، أحس كأنني عرفت بنات العالم، البيضاء والسمراء، الحمرا والشقراء، المجنونة، العاقلة/ المغرية، المحبة، الهادية، الثائرة، القوية، الرقيقة، اللي محتاجة لي وكل خلية في جسمها بتصرخ باسمي، مفيش في الدنيا بعدها لا فرح ولا سعادة، قلبي مطمئن وعيشتي هنية، الرضا عن الذات، أنا بأحس بكده، إني راضي عن نفسي وعن دينتي وعيشتي وحياتي وقدري..

سكت (محسن) قليلاً، وما كنت لأجرؤ أن أقاطعه بالرغم من أن كلماته كالحراب المسنونة تثقني في كل الأرجاء.

- امبارح والنهارده بتقولي إني اتغيرت، إني مش باحبا زي الأول، يعني أعمل إيه، أموت نفسي قدامها علشان تصدق؟! والله باحبا، والله يا (علياء) أعمل إيه يا (علياء)!

كالألم تماماً تُطمئن وليدها:

طبعاً هي عارفة، بس تلاقيها ظروف كده ولا حاجة.

مهتاجاً هتف:

ظروف! أي ظروف؟! ظروف ولا أنا ولا إنتي نعرفها؟! ده أنا باعرف عنها كل حاجة، قبل ما يبجي لها مغص باحسه أنا، عارف إن فيه حسنة ورا وِدنها الشمال هي نفسها ما كانتش عارفة إنها موجودة، امتي تحب تتضايق، لما بتاكل ولا تنام أنا باعرف!

ثم أردف:

كل ده وتقولي ظروف، فيه حاجة هي محببها أكيد وأنا مش عارفاها، أو تكون اتغيرت أو...

كان الانفعال قد بلغ بي مبلغه، أريد أن أقول له (أنه يستاهل كده وأكثر)، أن أضمه إلى صدري وأقول له (معلش)، أن أربت على ظهره حتى يهدأ، ممزقة أنا ما بين الحنين والحنان

أحسست بدوار مفاجئ وتقلص في معدتي وبرودة في أطرافي، ان الاوان كي أتماسك قليلا قبل أن أنهار تماما أمامه، إلا أن التوقيت كان متأخرا بعض الشيء، إذا إني فتحت عيني على (محسن) وهو يكاد يضع يدا على كتفي ويميل علي سائلا:

- مالك يا (علياء)، انتي تعبانة ولا إيه؟!

كان وجهه يبدو قلقا، وكان هذا يخدرني أكثر وأكثر، فأحسني أتحوّل غلالة رقيقة من مادة كالهواء تماما:

لا ولا حاجة، دوخة بسيطة وتروح!

أمسك يدي وضغط عليها في رفق، ازداد تقلص معدتي وزادت ارتعاشة أطرافي وإحساسي بالبرودة صار بالغا.

- لو سمحت يا (محسن)، أنا خلاص بقيت كويسة!

للمرة الأولى ألاحظ أنه يقترب أكثر مما ينبغي، فتنحني مرتبكا وهتف:

- آه، أنا آسف، معلش يا (علياء)، أصلي قلقت عليك، بس والله ما اقصد، أنا، أنا..

ابتسمت لأريحه وقلت:

- ولا حاجة، حصل خير، يالا نروح بقي، الوقت كده هاتأخر.

- هاوصلك.

في صرامة أمرني، وحمل عني حقيقتي واتجه معي لتوصيلي قبل أن أملك الحق في الاعتراض، حسنا.. أنا لا أنكر سعادتي بهذه العناية، فقط لو..

* * *

الأمل، هو الأوتار الباقية في القيثارة التي يمكن العزف عليها..

(سنوحي)

* * *

كما الأمس، كما الغد، كما هو العهد دوماً، جاء المساء..

ذلك الكائن اللطيف، الرقيق، الرحوم، الرائع، الصديق الصدوق..

ألا يمكن لهم مع كل ما اخترعوا أن يضيفوا جهازاً ما لاستجلاب المساء، سيكون رائعاً حقاً لو حدث هذا، ويكون جيداً أيضاً لو وضعوا بالجهاز أسلوب المساء، يعني أنه يمكنك استحضار ما تشاء من أنواع المساء، مساء حزين، مساء رومانسي، مساء مرح، مساء بالفراولة.

اليوم مسائي مليء بالم (محسن)، الكثير والكثير من ال (محسن) اللذيذ يكتنفي، يملأ كيانى، يحيلنى هلاهيل رقيقة من أنعم الحرائر.

كم هو رائع!

هل رأيتوه حينما اقترب منى، حين بدا عليه القلق، حين ضغط يدي في رفق؟

أح...

يرن تليفونى المحمول، إنها الرنة المميزة ل (محسن)!

كدت أصرخ، أقفز فرحاً، أقبل تليفونى، ألا ليت كل إزعاجاتى مستقبلاً تكون من النوع ذاته، (محسن)، الشيء الرقيق اللذيذ الرائع، و...

- أنا قررت أتقدم ل (يمنى)!

الصمت الفظيخ إجابتي، هل أقول أنه صدمني، هل أدعي أن هذه خيانة، هل أخبره الآن كم هو أحمق؟ يبيع ما هو غالٍ بما هو...

ولكن مهلاً، من أنا حتى أحكم على الأمور هكذا؟

البشر ليسوا سلعاً تباع وتشتري، لا يوجد الغالي والرخيص إلا بقدر ما نظن أنه كذلك، لا سلطان على الحب، ولا يوجد سبب وجيه واحد يفسر تآلف القلوب وتقاربها.

ثم ما الذي يضايقني هكذا؟

أيضاً يقني أن يرتبط أفضل من أحببت بأكثر من أحببت؟!؟

الأمر في نهايته لن يعدو كونه (محسن) و (يمنى).

سنكون حينئذ (علياء) و (محسن) و (يمنى)، و...؟!؟

ولماذا يجب أن يكون هناك و...؟! ألا يمكن أن نكتفي بكوننا نحن فقط؟ ماذا لو (علي)؟! ماذا لو...؟

مشتتة أنا، مصدومة وغارقة في دوامة لا قرار لها.

- (علياء)، قلتي إيه؟!!

تذكرت أن أحداً ما يحدثني في الجهة الأخرى، سحاً له من مساء، لا أعرف لماذا الجو حار خانق بغض هكذا، ثم هذا الناموس اللعين، والرطوبة الحمقاء!

- دي الطريقة الوحيدة علشان ما حدش يقدر يتكلم معانا.

وهل كان هناك من يجرؤ قبل ذلك علي الكلام معك؟ سيكون آخر يوم في عمره، ستلتهمانه حياً، حسناً، حبيبي (محسن)، وقد استقر رأيك هكذا وهذه الكيفية، أعتقد أنه قد ان الآوان لأبحث لي عن وظيفة أخرى في حياتك، شيء يسمح لي بأن أرشف رحيق حياتي من بين كفيك دون أن يلهيني حريق الاقتراب منك.

- الظاهر عليك لسه تعبانة، علي العموم أنا حبيت إنك تكوني أول واحدة تعرف لأن ليكي فضل كبير في القرار ده، كلامك اخر مرة هو اللي شجعني..

أنا؟! يا لتعاستي وشقائي، أأكون أنا في النهاية من عقدت أنشودة إعدامها بيدها؟! وضعت الزيت لأجعل مقصلي يسيرة لينة في حركتها؟! وهكذا سبق السيف العذل كما يقولون، وكالعادة قادتي حماقتي إلى هاويتي..

- الظاهر إنك تعبانة قوي، تصبحي على خير، أنا هاسيبك دلوقتي علشان أكلم (يمنى)، تصبحي على خير يا حبيبتى..

حبيبتى؟! أيها الوغد، أتدعوني (حبيبتى) بعد كل ذلك؟! أيصح أن تقتلني بهذه البرودة، أن تغتالني وعلى وجهك هذه الابتسامة البريئة؟!!

للمرة الثانية، أنا أكرهك يا (محسن)!

أكرهك لأنني لا أملك أن أقتلك!

لا أملك أن أخطفك لنهاية العالم حيث لا أحد غيري، غير قادرة علي أن أرتمي تحت قدميك، أن أقبل أهدابك، وألحق بظلك أينما يذهب، عاجزة أنا عن أن أكون الأرض التي عليها تسير، والسرير الذي عليه تنام، والغطاء الذي به تلتحف!

فاشلة أنا، فاشلة، وما كنت أبدا لأستحقك!
اذهب لـ (يمنى) إذن وانعما معاً بالجنون، أو المجون..
لا فرق عندي!
الوداع، الوداع يا من أحب!

* * *

كل واحد منا، يقتل من يُحب، الجبان، بقُبلة، والشجاع، بنصل..
(أوسكار وايلد)

* * *

((صهل الجواد الأشهب في قسوة لم أعدها، على ظهره الفارس وخلفه أميرة من أميرات القصر،
أكاد أسأله عما يحدث..
إلا أنه يشير إلى فستاني، الذي كان جميلاً، فأبدأ ألحظ أنه قد صار ممزقاً حقيراً..
يشير إلى وجهي، أعرفه صافياً كالليب..
وعلى صفحة الماء أراه منعكساً، موجاً بشعاً..
يشير إلى شعري، كان كالليل منسدلاً..
أتحسسه، يا ويلي، قد صار أشعث أغبر..
وحين هممت بالاقتراب منه، رفع الجواد قوائمه.. ونهرني..
صرخت، صهل، توّسّلت، بصق الفارس، ضحكت الأميرة، سقطت..
كاد الجواد يدهسني..
بحواف...))

ياليتني أجد الدموع وأستطيعك يا انتخاب..
فلعل دمع العين أهون من تكتُمنا العذاب..
ولعل فيه وسادةً تمتص صدمة الاكتئاب..
ولعله قشر يضيع فلا أمزق في اللباب..
- أين الدموع؟ -

(عصام الغزالي)

* * *

الأنغام الراقصة تعلو كأنها احتفالية على شرف هزيمتي، الجميع سعيد مرح، والابتسامات تعلو كل الوجوه، علي أنا أيضاً أن أفرح، أن أرقص، أن أزغرد، تلك السعادة الغامرة التي أراها في عيون كل من (يمنى) و(محسن) تدمر كل رغبة لدي في أن أكون حزينة مكسورة، تلك اللهجة، ذلك الفرح الغامر، تلك الأرواح الهائمة، أأكون أنا الشيطان الذي يحرمهم من هذا كله؟ مت أنا أو لما ولدت أصلاً لو فكرت كذلك،

اسمعي هذه يا (يمنى)..

زغرودة عالية مجلجلة فاضحة تصدر مني..

انظر إلى هذا يا (محسن)..

أتلوى وأترقص كأني جنية راقصة..

زار كبير، غيبوبة أغرق فيها، السعادة تملأ كياني، وحي لكل منهما يطغى على ما سواه، و...
(علي) .. (علي)!!؟

يالها من مفاجأة، (علي)، الدكتور (علي)، يا مرحباً يا مرحباً، هل تمت دعوتك أنت أيضاً؟ يا لي من محظوظة، هؤلاء كل الذين أحبهم حولي الآن، ما الذي يرجوه المرء غير ذلك؟

الآن صرت ودودة طيبة مع (علي).

من بقي لي من حطام الدنيا غيره!!؟

* * *

الجزء الثالث

خلف أشياء بسيطة..

أخبي نفسي لتجدني..

وإن لم تجدني..

ستجد الأشياء،

... تلمسها،

تلك التي لمستها يدي..

وستترج آثار أيدينا..

- (يانس ريتسوس) -

(١)

غريبة هي الدنيا، قد يحسب المرء منا أنه قد عرفها، وحينها تكون اللحظة الأئمة فيعرف أنه -
حقاً - ما عرف من الدنيا شيئاً، ويحسب المرء منا أنه لم يعيش قبل هذه اللحظة، أو ربما كانت
الدنيا غير الدنيا، كان من الممكن أن ينتهي كل شيء عند هذا الحد، مجرد قصة حب فاشلة
أخرى، أحببت فيها البطلة الثانية فتى الفيلم الأول، لينقض عليها المخرج والسيناريسـت بلا رحمة
يوبخانها ويلقنـانها درسا لن تنساه، سوى أن الأقدار اتجهت بأناملها جهة البطلة الأولى، أجل،
العزيزة الغالية (يمنى)، كلا، كلا، لا مجال هنا للتكهنات من قبيل حادثة غرق شابة في حمام
سياحة النادي، أو اختطاف فتاة والعتور على جثتها على أول الطريق الصحراوي.. سحقاً لكم،
سحقاً، هل جرؤتم على الظن بي هكذا؟! لست كذلك، لست كذلك البتة، أيساوركم الشك في حي
وإخلاصي لأي منهما؟

هما...

هما الروح التي بها يتردد النفس في صدري، الرحيق الذي تبثه الزهور في في طازجاً، الأيام التي
تشهدا حياتي، كلي، ونفسي، وروحي، وكل كياني..

أجرؤ يوماً على تمنى الشر لاي منهما؟!..

إنه شيء بسيط للغاية، فقد أصاب والد (يمنى) فيروس جلطة القلب، الذي صار الآباء يصرفونه مع البطاقة التموينية هذه الأيام، وكان هذا بمثابة الزلزال الذي هز كيانها كله، بل وكان (محسن) أيضاً، فقد أصبحت (يمنى) كثيرة البكاء، كثيرة الصياح، مسيئة الظن بطريقة غريبة، حتى أنا، طالني منها ما طال بالرغم من كوني شبه مقيمة معها بالمستشفى حيث يرقد والدها.. بالطبع لم نجرؤ - أنا أو (محسن) - على حتى مجرد التفكير في هذا الأمر، كان الموضوع بالنسبة لنا كالحرب تماماً، حيث لا وقت للحساب.

والد (يمنى) مريض، وهذا شيء سيء للغاية..

بالطبع تحسن الوضع قليلاً بعد مغادرته للعناية المركزة، إلا أنه مازال يبدو هزياً للغاية، شاحباً للغاية، ضعيفاً ومتهالكاً للغاية، وكذا أصبحت (يمنى)، مخلوقاً أسود هزياً شاحباً ساخطاً، كأنها يوماً لم تكن سوى كذلك، وكان هذا يمزق (محسن)، يمزقه تماماً، يمزقه أنه لا يقدر على عمل شيء له أو لها، يمزقه أنها تعرف ذلك بل وتعايره به، يمزقه أنه لا يفهم، ويود لو يحدث، يمزقه أن الكل حزين وهو - وللرهرة الأولى - لا يمكنه تغيير ذلك..

ضعيف هو الإنسان في مرضه، وفي مواجهته للمرض لدي الآخرين، وقاسية هي أقدارنا حين تقرر أن تكون كذلك.. العلماء في بحثهم خلف المريض نقبوا عن فسيولوجية المرض وباثولوجية المرض و(ما عرفش إيه) المرض، ولكن هل فكر أحدهم في البحث عن سيكولوجية مواجهة المرض؟ وإن فعلوا، أتراهم قد توصلوا للحل؟

اليوم أقلت (يمنى) بزهرة (محسن) في وجهه، ومررت بطاقة رقيقة كتبها لها متحججة بأن الوقت غير مناسب لمثل هذه المشاعر، فوالدها مازال في مرحلة الخطر، مازال بالمستشفى، وبحكم وجودي - شبه الدائم - بجوار (يمنى) بدأت ألاحظ كيف تضطرب وتصبح قليلة الصبر وسهلة الاستشارة حين يحضر (محسن) إلينا.

اختليت بـ(محسن) أثناء مغادرته، كنت أحس بعدم التصديق الذي يعمو داخله، ذلك الدهول الرائع الذي يمزقني ويحيلني إلى كائن لا مادة له، ذلك الجنون الذي يتمخض عنه فؤاده هو ما يحولني إلى حزن كبير بذراعتين دافئتين وصدر رحب واسع كل أمله أن يستقبله داخله..

أواه يا (محسن)، كم أنت مسكين، كم أنا مسكينة!

ما نحن إلا اثنان، غير فاهمين، لنا، ولكل ما حولنا..

مفرحياً بنا، في عالم التعساء..

أخبرت (محسن) ما كنت لا أصدقه أنا شخصياً:

- معلش يا (محسن)، إنت عارف إن (يمنى) بتمر بظروف صعبة الأيام دي علشان كده تلاقيا متوترة، ما تحاسبهاش على اللي هي فيه دلوقت، هه!!؟ هي مش هاتفضل كده على طول.

باقتضاب أو ما أن نعم، وغادر، مهزوماً، مدحوراً، ممزقاً، جريحاً..

حقيقة لا أدري ماذا جرى لـ(يمنى)، وهل تكفيها الحجة البلهاء التي ذكرتها لتفسر كل ما تفعل؟ ماذا عما تفعله معي؟ هل هذا أيضاً لأنها متوترة!!؟

الليلة..

وبعد أن نام والدّها حوالي الثالثة صباحاً، خرجنا من الغرفة لنتركه يرتاح، فالنوم قد صار عزيزاً بالنسبة له مؤخراً، كان وجهه (يمنى) جامداً صلباً، بلا مشاعر تقريباً وهي تسألني:

- إيه رأيك في (محسن) يا (علياء)؟

كان السؤال بمثابة الصدمة بالنسبة لي، لم أدري أي نغ تعده لي (يمنى) فتساءلت:

- (محسن)!!؟ ماله (محسن)!!؟ مش فاهمة قصدك إيه بالظبط!

أشاحت (يمنى) بوجهها وهتفت:

إيه رأيك فيه، إيه رأيك فيه كبني آدم، كراجل، كأبي حاجة، رأيك...

ثم أردفت، وقد بدأ الخوف يتسرب داخلي عن كنه سؤالها:

- يعني ممكن تحبيه، تحبيه يعني راجل وست، حبيب وحبيبة، ممكن تتمنيه، تتجوزيه، إيه اللي فيه، إيه اللي في (محسن)، سحر، جايز، شخص مثالي مالوش زي، احتمال، إيه اللي فيه!!؟

بدأ صوتها في الانفعال.. بماذا أجيبها؟! وهل لاحظت عليّ شيئاً!!؟

- ممكن تحبيه يا (علياء)، ممكن تحبي (محسن)؟ وهل هو فعلاً مش ممكن حد ما يجبوش، هل هو كويس قوي كده!!؟

بدأ صوتها يهدأ، والجدير بالذكر هنا أن رنة حزن بدأت تعتري نبرة صوتها، فأثرت ألا أجيبها خاصة أن سؤالها كان يقتلني..

- هو أنا فعلا باعامل (محسن) وحش؟ هل أنا ما ستاهلوش، صحيح يا (علياء)؟!

بدأ صوتها يتهدج، وبعض من دموع تترقرق في مقلتيها دونما سابق ترتيب، احتضنتها، ضممتها في قوة، اعتصرتها داخلي حتى كاد النفس أن يتوقف عن الدخول إلى رئتيها، وهنا فقط بدأت (يمنى) تبكي، تبكي في حرقة، تبكي وتنشج حتى أن الممرضات حضرن لتهدئتها وطمأنتها على حالة والدها، إلا أنه لم يوجد على وجه الأرض سوى مخلوق واحد يعلم أن ما تبكي منه (يمنى) ليس والدها فقط، مخلوق واحد فقط، هو أنا..

ككل شيء يحدث في هذا العالم، فقط، أنا..

* * *

((تدفعني إليك الأشياء..))

أرافق أحزاني الوحشية..

أنثر فوق ملامح اسمك..

آلاف الأسماء..

أتمادى في الوهم..

أسقط، أتعثر في أشباح الذكرى..

أفيق، ثم أعود إلى محرابك..

أسألك الصفح..

أسكب دمعي في استجداء..

تدفعني نحوك.. أنة ليل خافتة..

قطرة مطر..

خفقة قلب بعد البعث..

أمسية شتاء..

هل كان هروبي منك..

هروبي إليك..

هروباً حقاً؟! أم إمعاناً في العشق؟!!

(قلب مرهق)

قصيدة بقلم: يمني جمعة

* * *

شكراً أيها الطريق الأسود المظلم، فقد مشيناك بكل استمتاع، ونرحب بعودتك مجدداً لتكون صديقاً لنا وعوناً، كم أوحشتنا، كم افتقدناك، أنت الجميل بكأبتك، وأنت الرائع بسخافتك..
أنا، وهي، وهو..

ليست هذه مسرحية، ولكنها أقرب ما تكون كذلك، كيف يتسنى للأحلام أن تكون قريبة هكذا ثم تختفي، كيف نشم السعادة بأنوفنا فتتقلب الرائحة عطنة في لحظة..
كأسرع العواصف وأعتى البراكين وأعنف الزلازل وأقدر الفيضانات..
يكون الحزن..

يكون الفقد، يكون اليأس، حان الوقت لتقول وداعاً.

لمن؟! يا لكم من متحاذقين!

والد (يمني) طبعاً!!

* * *

عجيبة هي تجربة الموت، فهي أسرع شيء يمكن أن يغير الإنسان من النقيض إلى النقيض، وما ظننته بديها حدث عكسه، وبدلاً من أن تلجا (يمني) لـ(محسن) بصفته سندها الوحيد في الحياة الآن، انتقمت منه كأشجع ما يكون الانتقام، تركته!!

أجل، بمنتهى البساطة، وبنفس السرعة التي استغرقتها قراءتكم للكلمة، فقط تركته، أعادت له الدبلة، وحتى لم تعتذر، ماذا يحدث؟! ..

لا تفسير لدي، ولا يوجد تفسير لدى أي مخلوق.. إنه الطريق الأسود كما أخبرتكم، هل يجرؤ أحدكم سؤاله عن سبب لونه؟!؟

والمصائب لا تأتي فرادى.

لا أعرف، ولكن أيجوز أن (يعني) تحت صدمة فقدتها المفاجئ لوالدها، أرادت أن تتبع نوعاً جديداً من أنواع الحداد، أن تحرم نفسها من كل مصادر المتعة في الحياة، وبالنسبة لها، بل بالنسبة لنا، كان (محسن) مصدر متعتنا الوحيدة.

هل هو الخوف من أن تفقد شخصاً عزيزاً آخر؟ أقررت أن تفقد الشخص الآخر الذي تحبه حياً عن أن تفقده للموت هو الآخر؟

مجنونة (يعني)، ويمكنها أن تفكر في أي شيء.. ولكن ما ذنب (محسن) في هذا؟ ما ذنبه أن يشعر باليتم هكذا لفقدك يا (يعني)؟ ما ذنبه هذا الذي صيرته مشدوها، مشعثاً، ملتجئاً، مترهلاً، لا يقرب الطعام إلا قليلاً، ويتحدث بالإيماء، ذلك الذي صار يمشي بيننا مخزياً، وغزا السواد ما تحت عينيه خافتتي اللمعة، انحنى وصار كالكهل أدركه الخريف، يخنفي بالأيام، ويعود وأثار البكاء بادية عليه، ذلك الذي صار للمجانين أقرب.

للأموات أقرب، لماذا يا (يعني)، لماذا؟!؟

لماذا فعلت ذلك به، وبك، وبني؟!؟

* * *

هذا الجانب من الحياة..

نراه من خلال عيني (محسن)..

نتذوق ما يتذوق، نحس ما يحس..

ندخل عالمه..

مرحباً بكم..

احجزوا مقاعدكم مقدماً..

هذا أمر غير تقليدي في أي سرد، ولكنني أفعله فسامحوني. سيتساءل البعض، ولم لم نختَر هذا الجانب من الحياة من خلال عيني (يعني)، إلا أنه لم يحدث لأنها اختارت أن تسافر لخالها المقيم

في لندن، تقضي عنده فترة نقاهتها ونسيانها لأحداث حياتها العصبية.. فقدان الأشياء يغير فينا كثيراً فلا نعود بعدها إلى ما كنا عليه بالرغم من كل المحاولات المضنية التي أقدم عليها (محسن) وحتى...

(علياء)!!

أنا لا ألام إذا تركت الحزن يَغشى كلَّ حالٍ
ورأيت أشباح الجنائز ترتدي كلَّ احتفالٍ
أنا إن كتبت قصيدةً نشوى فقد خنتُ انفعالي
نظرتي السوداء لم أثقب بها سرَّ اعتلاي
لكن صقلت جمال فني من عذابي واحتمالي
ورسمت من ظل الحوادث لوحة الحزن المثالي
رقص على قلبٍ جريحٍ وانتحارُ في الأعلى
لا تعذلوا الألوان قائمةً فهذا ما بدا لي
الكون فتانٌ، ولكن صدُّه غيرُ الدلالِ
(لوحة الحزن المثالي)

عصام الغزالي

من ديوان: الإنسان والحرمان

(٢)

مفزوعاً استيقظت على صوت رنة الموبايل، كالمحكوم عليه بالإعدام تماماً، أنظر للملابسي، فأحس بالغضب لأن لونها لم يصبح أحمر بعد، تنبّهت إلى حقيقة أنني ما زلت أتففس، فأحسست بالقهر هذه المرة، أنا أرفض، أنا أعترض، أنا لا أريد، سأهب أي أحد ما يتردد في صدري من نفس مقابل أن تعود إلي، أن تشرق علي ثانية، أن أسمع صوتها داخلي صداه يتردد، أضمها مرة أخيرة، مرة واحدة أخيرة ثم...

أواه، يتصاعد الرنين.

إنها (علياء)، لا أرد، ليست المرة الأولى، ولا الأخيرة.

ثلاثة شهور كاملة مرت، وأنا هكذا لا أتكلم، لا أتففس، لا أعيش، وما فائدة ذلك إذا كنت لن أكلها، لن أتفسها، لن أعيش معها وبها وبسببها، ألا توجد طريقة ما يقتصرون بها الوقت المتبقي من العمر؟

أريد أن أقدم ساعتى كما لو كانت توقيتاً صيفياً..

الآن، وبعد ألف سنة سأظل أذكر كل كلمة، كل نظرة، كل وعد، أذكر يوماً كتبت به بالقلم الجاف على باطن كفي:

((أحبك أنت، لأنك أنت، ولك أنت، أقدم نفسي، أرخص هدية))

ظلت بعدها لا أغسل يدي، ولا أستعملها إلا مضطراً، حتى انحت الكلمات بفعل الأيام.. أكان حبها كذلك، كلمات على باطن كف تحوها الأيام؟

تُرى ما هو الخطأ الذي ارتكبته؟ ما هو الذنب الذي اقترفته؟

تسللت نحو المكتبة بعد مغادرة أمي، التي بطبيعة الحال يمزقها مآلي، أخرجت أحد الكتب تعلوه طبقة كثيفة من الأتربة، في تردد مسحت الكتاب، وفتحته على صفحة أعلمها مسبقاً، كانت رواية رومانسية، والصفحة على موقف بين البطل والبطله تعده فيه بكل ما هو جميل ورائع.

على جانب الصفحة، طازجاً كأنه للتوقد وضع، قبلة من شفيتها.. آه، شفيتها، اللون الأحمر الصارخ.

أشتم الورقة، تعاودني الرائحة التي ما اعتدت رائحة سواها، في تردد، اقتربت بشفتي من آثار شفيتها على الصفحة، ارتعش، يرتعش كإني كله، بل الأحرى أنه ينتفض، يرتج، يتشنج، الدموع تغادر مقلتي سريعاً، أسرع من أن أتخذ أي شيء حياها، وسقطت دموعي، حارة، ساخنة، صامته.

أقرأ الكلمات المكتوبة بجوار شفيتها:

((مليكي ومعبودي، أعطيك بصمة باهتة لشيء هو ملكك أصلاً، اقبله، وخذ الأصل معه، وصاحبه إن قبلت))

كانت النار تنهش صدري.

كفاني، كفاني، أنا ما عدت قادرا على التحمل أكثر من ذلك.

كان الصداع الأسود يكتنفي، بدأت جفوني تثقل في إعياء، وسقطت في هوة سحيقة، لا قرار لها.. أرجو ألا توجد فرصة أخرى لإنقاذ منها.

يااا رب.

* * *

بعد فترة من الوقت، أنا الشارد، الأقل مرحًا، بدأت استئناف الحياة، رغمًا عني بالطبع؛ الدراسة، الأكل، الشرب، النوم، كل تلك الزخارف والديكورات التي تجعل الآخرين يحكمون عليك بالحياة، كأنهم يحكمون بحكم هام وله حيثية، فلان حي، فلان ميت.

فلاسفة هم كل من ليسوا أنت.

للآخرين القدرة على فعل الكثير من الأشياء، ما يجعلك دومًا تتمنى لو لم تكن أنت أنت، بل مجرد أحدهم، أحد هؤلاء الآخرين المميزين، الذين لديهم القدرة على الظهور والاختفاء من حياتك متى وكيفما يشاءون، أنا لا يمكنني هذا أبدا مهما حاولت، هل اختفى أحداكم قبلا من حياته!!؟

أرايتم!!؟ إن الآخرين لعبارة حقًا.

في سذاجة جربت أن أغلق في وفتحتي أنفي إرادياً، لا شيء، لا شيء.. لا شيء حتى الآن.

لا، لا، لا. (أحس ضيقًا في التنفس).

أوه، أوه، أوه.. (يزداد في شدة).

لا، أستطيع.. (أفلت يدي وأفتح في).

لاهثًا، لاعنًا، ساخطًا، استعدت التنفس ثانية، كيف يتأتى أنني أتضايق حين لا أتنفس، بينما أنا حقيقة لا أتنفس، ضعيف جدًا أنا، بل كلنا ضعيف جدًا، لا شيء يستحق إذن، فكلنا يقول ما لا يفعل، ويظن أنه يحس ما لا يحس به فعلا، نتنفس ونأكل ونشرب رغم أنه لا لزوم فعلي لذلك..

كان جيدًا أن أخرج من أيام دراستي التعيسة بشهادة تخرج تثبت أنني طالب متفوق تفتتح الدنيا أمامه كزهرات الربيع، الشركات تتسابق لنيل توقيعي كأني لاعب كرة محترف، لذيدون جدا هؤلاء الآخرون، ألم أقل لكم!!؟

* * *

وهكذا تمر الأيام وتختلط نجاحاتها الصغيرة بإحباطاتها الكثيرة، تواتيك الفرص وتفتح أمامك دروب، تغير مناصبي مرّات عدة في سنوات قلة.. إلى أن كدر صفحة ماء مستنقع حياتي الراكدة الآسن، حجر كبير، على غير انتظار مني.

من تظنون قد جاء يتدرب على يديّ بالشركة!!؟

كلا، خطأ، أتم متسرعون كالعادة..

لقد كانت (علياء)!

ذلك الشيء الرائع الذي ظل بجواري كالوتد لا يجيد، بحثت داخلي عن أي جيد قمت بعمله لها، فلم أجده، إلا أن أصرارها العجيب على الصمود معي، بل والادعاء الجائر بأني قد فعلت هذا معها قبلاً جعلاني غير قادر على مناقشتها، تقول إن كل ما هو جيد داخلها أنا صنعته، هل أنتم مقتنعون بذلك؟ لا، ولا أنا!!

ولكن عملاً بمبدأ ملك الملوك إذا وهب، لا تسألن عن السبب..

استمر استمتاعي بوجودها قريبة مني كما كانت دوماً.

العزيزة، المخلصة، القريبة، الأخت الرائعة التي لم تنجها أُمي.. نضجت أكثر، أصبحت أجراً، أحكم، بل أظرف، مشرقة، نضرة، طازجة.

بتأيير من ثلاث قطع دخلت عليّ، على وجهها ابتسامة جذابة واثقة.

- (علياء محمد) تحت أمرك يا فندم.

قهقهت بصوت عالٍ، وغمزت في وقاحة قائلاً:

في أي حاجة!!؟

لم يجرّ وجهها كما اعتدت، وأدهشني أن لم يحدث، بل صعقتني أن غمزت بدورها وقالت:

كل حاجة، إنت تأمر!

ثم ضحكتاً معاً ضحكة صافية من القلب كنت أظن أنني نسيتها إلى الأبد، ليست هذه (علياء) التي عرفت، في أي صفحة من صفحات العمر نحن، هناك جزء ما مفقود ويبدو كما لو أنني لم أقرأه،

دون وعيٍ مِنِّي وجدتني أخيرها، أجل أخبرها بكل ما كنت أفكر فيه بالرغم مما فيه من إحراجٍ لي، ولها، وأخيراً، أخيراً جداً، اضطربت، وبدأ وجهها يحمر، واستأذنت سريعاً، استوقفتها معتذراً متحججاً بأنها هي التي طلبت، إلا أنها غادرت.

ارتيمت بجسدي على الكرسي الوثير الذي أجلس عليه..

نادماً للغاية، متساءلاً ربما للمرة الأولى..

أأكون فاشلاً إلى هذا الحد في التعامل مع الآخرين!؟

ما الذي كنت تريد أن تثبته يا (محسن)، وما أهميته!!؟

الله وحده يعلم!

* * *

تغيّبت (علياء) عن الحضور اليوم التالي، بحجة مرضها الذي كنت أعلمه، كان مزاجي معتلاً، أزعت لأبسط وأتفه الأسباب، طلبت من أحدهم سيجارة، وأشعلتها، ومع النفس الأول وسعالي الشديد، تذكرت أنني لا أدخن!! كتبت إذناً للانصراف مبكراً، ثم مزقت الورقة، غيرت من وضع صورتي وصورة والذي على المكتب حوالي ألف مرة، وفي النهاية لم يعجبني أي وضع لأي من البروازين فألقيت بالبرواز الذي يحمل صورتي على الأرض في عنف، ولكن لم يحدث له شيء.. ضغطت جرس الساعي، وما إن دَخِلَ حتى زعقت فيه متسائلاً عن سبب تأخره، وحينما حاول أن يخبرني أنه لم يتأخر، قاطعته موبخاً وأمرًا إياه بإحضار قهوة سادة، وما إن خرج حتى ضغطت زر الجرس ثانية، عاد مهرولاً، أمرته بتغيير القهوة إلى مضبوطة، خرج، الجرس، دخل، اعتذرت أن لا شيء، أعطيته نقود القهوة، وأخبرته أنني لا أريد قهوة، فخرج ثانية وهو يشكرني ويخبط كفا بكف مقسماً بأغلظ الأيمان أنني لا بد مجنون!

ولربما كنت كذلك..

كان محمولها مغلقاً، ففرت أن أتصل بها في منزلها، ثلاثة، خمسة، ستة، ثمانية، دون أدنى تفكير أو مجهود، كأن أصابعي مبرجة مسبقاً على الرقم، ثم...

كلاً، كلاً، ليست هذه الأرقام صحيحة، هذا ليس رقمها، سحقاً، ارتبكت، وسقطت مني السماعة، واعتذرت بصوت عالٍ رغم أنني وحدي بالغرفة، هذه الأرقام ليست أرقام تليفون (علياء)، بل أرقامها هي، تلك الأرقام التي ضغطتها أصابعي ألف مرة ومرة حتى انمحت الأرقام يوماً من فوق أزرار التليفون، الأرقام المقدسة صارت سراً أعرفه وأنا مغمض العينين كأنها الغريزة، كنت أطلب الرقم بالغريزة، التعود.

لكن، علي أن أكون أكثر حذرا من ذلك.

في هدوء وتؤدة، ثلاثة، ثلاثة، ثلاثة، صفر، واحد..

- آلو، ممكن أكلم (علياء)؟ أنا (محسن).

- ثواني لما أشوفها موجودة ولا لأ.

لحظات تمر بطيئة، سمجة، لزجة، سترد، لن ترد، سترد، لن ترد، الأمر ربما يحتاج إلى زهرة ذات أوراق عديدة، سترد، لن ترد، س...

- آلو، أيوة يا (محسن)، خير؟

انتفضت، ونفضت الزهرة الوهمية وبتلاتها المتناثرة التي كنت ألهو بها منذ لحظات، فها هي ورغم كل شيء ترد بمنتهى الرقة، ارتبكت ولم أعرف بماذا أرد عليها، تخنحت وسعلت، وغغممت، وصدرت عني أصوات أخرى لا أعرف لها اسما.

- خيرا (محسن)، فيه إيه، إنت غريب قوي!

- آ، آ، آ... (كالأبله تماماً).

- يعني إيه، مش فاهمة؟ (في حيرة حقيقية).

- آ، آ، آ...

- (محسن)!! إنت شارب حاجة؟!

- لأآآآ... (طويلة وحاسمة).

- متعاطي حاجة؟!!

- لأآآآآآآآ، طبعا.. (أطول، أحسم).

- أمال فيه إيه يا حبيبي؟

- يا، إيه؟!! (كان دوري لأتساءل).

- ياآآ، حبيبي.

كلا، كلا، هذا خطأ تماماً، لا أريد أن أكون ظالماً هكذا، ولكنني أحتاج (علياء)، أحتاجها حقاً، ولربما استطعت يوماً أن...

وهم؟! أليس كذلك، وهم رخيص، وأنانية سافلة..

أيجب أن أبتعد، أم ماذا أفعل؟!!

الآن يبدو كل شيء جلياً، دكتور (علي)، مسكين أنت يا صديقي، سامحني، ولكنني أقسم لك إني ما كنت أعرف، لقد كنت مغيباً، نشوان سكران من خمر (يميني)، لم أكن واعياً ولا دارياً، واليوم، يبدو أنني مقبل على مصيبة جديدة، وضحايا جدد!

اليوم بكل الوعي وكل الدراية.

أأكون الفريسة، أم الصياد، الضحية، أم الجلاد؟!!

* * *

جاء اليوم التالي، وكنت أظنه لا يأتي.

ألقُ غريب يعترئها، نظرة انتصار رهيبة من عينيها، يبدو أن الأمر لن يكون سهلاً البتة، عزيزتي الغالية، ما حاجتك أنت بفارس مهزوم، ما الذي يجبرك بأن تربطي نفسك برجل سيأتي عليه يوم فيناديك باسم أخري؟ يطلب منك طلبات غريبة - حتى عليه هو - فتكتشفي أنها كلها طلبات تنفيذها سيجعلك أكثر شبيهاً منها..

أنتِ لا تستحقين أن توضع في المقارنة، لا أحد مثلك يستحق..

وأنا لا أستطيع - بعد - التوقف عن عقدها، ولا بد سأعقدها.

أستطيع أن أكون أي شيء، أفضل رجل، أخلص صديق، ألطف كائن..

ولكن...

أأكون باستطاعتي أن أكون الحبيب المنتظر؟

جاءتني والابتسامة على وجهها مشرقة.

- صباح الخير، حبيبي..

- (علياء)!

- نعم؟

- بلاش حبيبي دي، انتي عارفة!

قهقهت في مجون، حتى إنني ارتبكت أمام قهقهتها وتوسلتها أن تكف.

- قصدك علشان الشغل وكده، ها، ها، ها..

- أرجوكِ يا (علياء).. (أكاد أنحرّ ساجداً راعياً متوسلاً).

- طيب ماشي.. (ثم همست) يا حبيبي!

لم أملك منع نفسي من الابتسام، وكذلك هي، وأكاد أحس بها ستقترب لتملّس على شعري وتأخذني إلى صدرها وتدفن رأسي هناك كما كانت تفعل (ي..ي..).

أوف، ألم أقل لكم!

اعترتني مسحة حزن مفاجئة، وأحسست بالنفس يضيق في صدري.

- مالك يا (محسن)؟!

أطرقت نجلاً وأحسستني عارياً أمامها بلا أستار.

- ولا حاجة، ما فيش حاجة يا (علياء).

في إصرار عجيب واصلت بعد تنهيدة حارة طويلة:

- أنا عارفة يا (محسن)، حاسة بيك!

- عارفة؟! عارفة إيه؟!!!

- عارفة كل حاجة، الماضي ما ينفعش يندفن في لحظة، بقرار، بجرّة قلم، ندوس على زرار ونقول خلاص مفيش ماضي، مفيش ناس قدام عرفناهم قبل كده، مفيش حد في العالم ده عارف كل حاجة قدي، ولا هتلاقي حد يحبك قدي!

صمت وهلة، واستأنفت تأديبي وتهذيبي وإصلاحتي:

- ولا حتى (يمنى)، أه يا (محسن)، لازم تعرف، لازم تصدق، ماقدرش أقول مين فينا اللي جبك الأول، بس أنا قصاد (يمنى) كنت عاملة زي العاجزة، انخرسا اللي من غير لسان، المشلولة، اللي ماعندهاش عكاز، ابوة يا (محسن)، من الأول كنت بجبك، وأتمناك، وأتمنى اليوم اللي تبص لي فيه، أنا مختلفة يا (محسن) أنا مش (يمنى)، أنا واحدة تانية، جايز مش أحسن، بس أكيد بتحبك أكثر، ولو بس وعدتني إنك هتكون راجلي، والبني آدم اللي هكمل معاه حياتي، أنا ممكن أكسر الدنيا، وأسيبها كلها علشانك، ولأجل عيونك..

(توقفت وقد بدأ صوتها يتهدج)..

كان الانفعال قد بلغ مني مبلغاً، هذه أقوى كلمات سمعتها في حياتي، الدموع تسابقت فيما بينها على منحدرات خدودي، والهواء صار مخلوقاً غريباً لم ينفذ إلى صدري يوماً، وأعتقد أنني الآن احتاجه، كفى يا (علياء)، كفى!

صرخت، أو هكذا خيل لي:

- بس، بس.. أنا مش قادر، أنا مش قادر، كفاية، على إيه كل ده؟ أنا أحب (يمنى)، و(يمنى) تسبيني، وانت تحبيني، وأنا لسه مجروح وماقدرش أكون ليكي زي ما إنت عايزة، حرام، حرام، حرام!

فوجئت بثورتي فهدأت من انفعالها قليلاً، ومن بين دموعها هتفت:

- عارفة، عارفة يا (محسن)! عارفة وقابلة، كل اللي عاوزاه وعد إنك تحاول، تحاول بجد، كثير؟!!!

- لأ مش كثير، بس الوعد ده لحد إمتي، بكره، أسبوع، شهر، سنة؟ حرام يا (علياء)، حرام عليكي نفسك!

- مش مهم قد إيه، المهم الوعد في حد ذاته، تقدر يا (محسن)، تقدر توعديني؟

- أنا أول مرة أسمع فيها عن وعد زي ده، بس...

- توعديني؟!!!

.....

- توعديني، يا (محسن)!!!

- أنا ما عرفش أوعد حاجة زي دي يا (علياء)، المشاعر دي مش حاجة إرادية الواحد ممكن يوعدها، دي مش عريية ممكن تحجزها وأول ما تنزل السوق تاخديها طالما دفعت عربونها.

صمت بعد أن أدركت كم هي قاسية كلماتي.

- (علياء)؟

من بين بكائها غمغمت:

- نعم؟

- (علياء)، يا أحلى حاجة في الدنيا، كل اللي أنا عارفه دلوقت إن أنا محتاج لك، عايزك، وما أقدرش أخسرك، لو خسرتك أموت، أنا لسه مجروح، عيان، باتعالج، وانتي الدكتور، وانتي الدواء، وانتي الممرضة اللي بتديهوني.

وتابعت:

- محتاج أشوفك كل طلعة شمس، ومع قمر كل ليل، أحب أشوفك وأنا فرحان، وأنا زعلان، وأنا باشتكي، صدرك ده مخدتي، لو ريحت راسي عليها يوم تزول عني كل هموم الدنيا، لمسة إيدك دي بخنانها ودفتها تبعد عني كل كرب أو مصيبة، أنا عايزك، وعايزك جنبي، بأي شكل، بأي صورة، وأقدر أوعدك بأي حاجة في الدنيا، عينيًا فداك، روي ليكي، بس مآحدش يقدر يوعد بنوع المشاعر يا (علياء).

ما حدش يقدر، فاهمة ولا لأ، فاهمة!!

أومأت برأسها وهي على نفس القدر من الحيرة التي قابلتني وأنا عليها، بينما أنا تضاعفت عندي الحيرة أضعافاً مضاعفة..

ألم أقل لكم، أن أفضل شيء يحدث لك..

يوماً ما..

لحظة ما..

أن تكف عن الوجود!!

* * *

خطوة للوراء..

خطوة للأمام..

لم نعد نستطيع قراءة..

أسمائنا في الظلام..

لنعرف من نحن؟

ماذا نخبي بين ملامحنا..

وردة، أم حُسام..

لم نعد نستطيع..

إذابة أرواحنا..

في الغمام..

خطوة للوراء، خطوة للأمام..

- محمد إبراهيم أبو سنة -

(٣)

عجيبه هي الدنيا كما نعلم جميعاً، لكل منا سبب وجيه لمقولته، كما أن الأسباب لا تنتهي، وبعض العجائب لا توصف، أيام نظن ألا حياة بعدها، أو هكذا نمتي عندها، وأيام نظن ألا حياة بعدها، لأننا لا نريد لها أن تنتهي.. مفارقة لذيدة تلك المرتبطة بعلو السماء وسفلية الأرض، الأذ هو مدى ارتباطنا كبشر بهما حتى لنظن أننا لا نحيا إلا في أحدهما، كأنه لا يوجد بينهما شيء، يوم أنت في أعلى السموات ويوم يليه أنت في أسفل الأرض.

الآن تبدو لأيامي معنى وغرض.

ولكن...

أيتطوع أحدكم بإخبار عقلي ذلك، فهو لا يكف يوماً عن تنغيص حياتي وتذكيري أن للعملة دوماً وجهين، فما أن ترى هذا الجانب حتى يتحم عليك أن تنتظر الجانب الآخر!!

أيجوز أن أكون فرحاً هكذا، ومع ذلك أنتظر - ربما في اشتياق - أول مصيبة ستقابلني؟ أيعقل أن أكون على هذا القدر من السعادة، من راحة البال مع (علياء) ومازلت أخدعني وأخدع نفسي

...ب

شبق غريب أتسم به أخبارها.

أريد أن أعرف ما يحدث لها في الجانب الآخر من العالم.

حيث تشرق عليها شمس أخرى، وتغرب.

حيث الأقدار التي تهل عليها مساءً تختلف عن أقاري..

ولربما كانت الأيام والأسابيع والشهور التي تحياها، بل بالطبع..

غير التي أحياها..

وبالرغم من أن (علياء) كانت على القدر الذي يذهلك من الذكاء بحيث حولت علاقتها بـ(يمنى) إلى نفس الجانب الآخر من العالم، تلك العلاقة التي لا أظنها أبداً كالسابق، إلا أنني علمت - بطريقة ما - أن (يمنى) عملت في شركة منافسة لنا.

أتكتب لنا الأيام لقاءً جديداً؟!!!

الآن أذكر لقاءنا الأول.. الكلية، المسابقة، النفور الأول والاستهجان الذي لقيته من الموجودين، إلا هي..

كل ما حدث بعد ذلك هو قدرتي بشكل لا جدال فيه.

الأحداث والكلمات والأشخاص، تدور كالرحى في مخيلتي.

أكانت حياة واحدة فقط، كل ما مررت به قبلها ثم معها والآن بعدها؟ الآن فقط أعرف أنني فقدتها بلا رجعة، والآن فقط أبحث عن السبب.

يقولون دوماً، أن تبدأ بشك وتنتهي إلى يقين خير من أن تبدأ باليقين فتنتهي إلى الشك، وأنا الآن صريع الشك، قتيل التساؤلات عديمة الإجابة.

أذكرني وأنا طفل صغير - الطفل كثير التساؤل - عندي أربع سنوات فقط لا غير، أسأل الآنسة (علياء) مدرسة الحضانة، لماذا لون عينيها أخضر بينما لون عيني أنا أسود؟ كنت لا أفهم كثيراً مما يقوله الجار حولي ولكني كنت أقلدتهم وأقلد نطقهم للأشياء، أفهمت الدنيا وما يحدث حولي بعد ذلك؟! كلا، البتة!

إن (بمضى)، ملعونة حقاً.

تركتني أصابعي وحدي، وأنا أسوأ خصم، وأضعف من يدافع عن نفسه، ففي نظري أنا مسؤول عن كل الأشياء في الدنيا.

أليست الدنيا كلها تدور في فلكي أنا؟! أليست أنا مركز هذا العالم وهذا الكون؟! أنا مسؤول عن حرائق الغابات وتلوث البيئة وثورة المحمول والعملة وأنفلونزا الخنازير وغرق الشباب في هجراتهم غير الشرعية، ولكن، أتراني المسؤول عن فقد (بمضى)!!؟

أتراني لم ألمس يدها حين وجب أن ألمس، أو قبلت أهدابها حين لم يجب أن أقبل، أو لم أقل أحبك حين اشتاقت سماعها، أو لمتها وهي لم تكن لتتحمل اللوم وقتها!!؟

آه من الدنيا!

أريد أن أعرف الحقيقة وأواجهها الآن، وقبل أي وقت آخر..

الحقيقة التي تعطيها ظهرك فتطعنك فيه، وأنا لا أتحمل الطعن ثانية، أريد أن أبدأ (محسن) الجديد، أفتح الصفحة التالية، أجب طعم الأيام والأحداث والأفكار بلا (بمضى).. فهل أستطيع!!؟

قت فأمسكت قلماً وورقة، كأنها الملاذ والملجأ، ماذا أريد أن أفعل بهما؟ لا أعرف ماذا أكتب..

رسالة اعتذار لـ (بمضى)، أم رسالة غرام لـ (علياء)؟

متيم أنا بالعشق، ولكن لمن أوجه عشقي، لذكرتي قديمة ولت ورحلت، أم لغد غامض لا أعرف ما فيه وأخشى، أم أكتب اعتذاراً وغراماً لي أنا، أنا، أنا المظلوم في كل شيء، أنا المهضوم حقه، أنا التعيس، أنا الذي يقتلني الحنين للنفيس الحار يلهب خدي، للسهة الحانية تهدي روعي، لكلمة العشق تشف آذاني، للضمة الدافئة تصيرني طفلاً لا يشيخ..

بدأ القلم يتدحرج علي سطح الورق:

((هل عرف أحدكم يوماً، طعماً للوحدة..

أن يبصقك الزمن، وتمرّن عليك لعنات السماء..

أن يرجمك الحمقى..

ويبول على وجهك الغوغاء..

هل أمسك أحدكم قلبا، ساعة عزلة..

وتحدّث مع نفسه..

أو ناقشها ذات مساء..

أم هو جنون حقاً..

أن تتكلّم مرة مع الإصغاء..

أنسخني إنساناً آخر..

نتجادل سوياً كالأصدقاء..

هل جنّ أحدكم يوماً، طلباً للشفقة؟

حبّيتي ذات يوم..

أنا ها هنا..))

أمسكت بالورقة، هممت بتمزيقها، فقد أدركت إلى أي بُعد ستأخذني الكلمات.

الحقيقة المفزعة تصدمني.

أعرّفكم بنفسي، أنا (محسن)، إنسان تافه حقير!

يجب (يعني) وما زال يحبها، ولكنها دهسته بجذائها، ولكنه سيظل يحبها حتى يجد المبرر الكافي لكي يكرهها، وربما لن يجد، وهو يجد (علياء) إنسانة ممتازة، ولا يجد غضاضة في أنها ترقع تحت قدميه وتقدم نفسها على طبق من فضة كهديّة وما عليه إلا القبول، وهو يكره (محسن) لأنه ضعيف ولا يمكنه الإجابة على أي من الأسئلة التي يسألها، كما أنه لا يمانع أن تسقط كل فتيات الدنيا صريعات حبه وهواه، سيقبل هذه قبلة حارة في شفّتها، ويرقص مع تلك عاريين، ويمضي الليل بطوله يتغزل في الثانية تحت ضوء القمر، ويسبح مع الأخرى في البحر، الذي لا قرار له لاهيا عابثا، وسيتحدّث مع الرابعة أو الخامسة أو السادسة عن أمانيه وأحلامه وكيف شب ونشأ فصار عبقرياً لامعا لذيذا ظريفا ذكيا هكذا..

فردت الورقة المكرمشة، واستأنفت على سطحها:

((... حبّيتي ذات يوم..))

أنا هاهنا، مجنوناً، أرغبك))
أجل، أنا حقاً أرغبك، بل أرغبكن جميعاً!
ها، ها، ها..

أريد البيضاء والسمرء والشقراء والحمراء..

المصرية والأوروبية والآسيوية..

((... أحتاج صوتك أسمع..

ولو يسبني، المهم، أسمعك..

فرغت كلماتي لذاتي..

أتوق ولو لبضع كلمات، معك..

قد صرت شقيماً، تعساً..

كالمستنقع الآسن، غادره السمك..

هل فكر أحدكم يوماً..

هل عرف..

كيف..))

طويت الورقة وثنيته على أربع ثم وضعتها بين أوراق القديمة، أعمالتي التي لم تنته بعد، ويبدو أنها
لن تنتهي.

دمعت عيناوي، يبدو أن قصتي مع (يمني) أيضاً..

لن تنتهي.

أتراني قبل هذا كله..

أنا..

أنتهى؟!

* * *

جاء الصباح، الذي كنت أنتظره منذ زمن ليغلق عليّ خط الحزن العميق، تحدثني نفسي بأني اليوم مختلف، الأسئلة اليتيمة بلا أب أو أم مازالت داخلي، ولكنني لن أتدخل، سأتركها كما هي، قدرتي على تحملها ما صارت كالسابق، بعض من الإهمال لن يضير علي أية حال:

صباح الخير.

باسمًا، سعيدة، كانت (علياء)، المتألقة، المرحة.

اللون الأحمر الناري يطغى على أشياء كثيرة فيها، وعطر فواح قوي هو أول ما ذكرني بأنوثتها الحاضرة، أنظر لها من فوق لتحت كأني أراها للمرة الأولى، لا أجد في الحماس الكافي والمكافئ للهفة عينيها وتهدج أنفاسها وجريان ريقها لدى مرآي، فأحييها بما يشبه الغمغمة، وأتوجه إلى مكتبي أتمس منه الملجأ والملاذ من نظراتها التي تحاصرني وتعريني، ليس الآن يا (علياء)، بل ليس اليوم، ليبتى كانت مرهقة للغاية، ليتك كنت معي، تربيتة منك علي كنتي ربما كانت كافية، نظرة إلي عينيك ربما كانت ستحمل الإجابة لتساؤلاتي العديدة التي لا تنتهي، ضمة إلى صدرك أريح رأسي المكدود كانت ستحيلني إنسانا آخر بلا شقاء أو تعاسة تقريبا.

- علي فكرة، دكتور (علي) اتصل بي إمبراح.

كلا، يا (علياء)، لا تبدأي معي ألعاب الأثني!

نظرت لها نظرة الغريق، فتوقفت عن الاسترسال، بدا القلق علي وجهها:

- مالك يا (محسن)؟ شكك متغير، فيه إيه؟!

كالعادة، لا إجابة، ككل الأسئلة التي أطرحها علي نفسي أو يطرحها علي الآخرون، لكنني كانت علي ذكاء لم اعتده فيها قبلا وتوقفت عن إيلامي، نظرت لي نظرة العارف العالم، وأنا أيضا عرفت أنها عرفت.

- امبارح؟! بالليل!!

أومات وغمغمت وتحشرج صوتي وسكت.

نفس الغصة المرة أحسها في حلقها، تبتلع ريقها، تستجمع شجاعتها، توجهت نحو بني غريب، أنا المجرم الوغد الملعون الذي ذكرها أن الحرب مازالت قائمة، والعدو اللدود مازال حيا يرزق.

- معلش، كل ده عادي وطبيعي.

أطرت في الأرض نجلاً، أردفت:

- هوانت كل ما تفكر فيها هاتبقى بايخ كده؟ فكها بقى، بكره تنساها وتنسى اللي جابوها.

اغتصبت ضحكة كالاستغاثة، نظرت لها مندهشاً من أدائها التمثيلي البارع.

- إنت فطرت ولا لسه؟ تلاقيك ولا فطرت ولا حاجة يا شيخ، أنا هاروح أجيب الفطار، دقائق وأرجع لك.

خرجت وعادت ومعها السباندوتشات، على وجهها حمرة أعلمها، وأنفها لامع كأنه كان مبلولاً، العيون محمرة وآثار دمعة لم تزل جيداً لحظتها أنا:

الفطار.

أمسكت الطعام من يدها ووضعتها على المكتب، وقت من على الكرسي وأمسكت يديها بين يدي فارتبكت، نظرت في عينيها مباشرة وساعدتها على الجلوس، العيون القاتلة تحتويني، تغرورق عيناها بدورها، دمعة تفر من عينيها، أرفع يديها إلى ثغري، وفي رقة بالغلة قبلت أطراف أناملها، أغمضت عينيها في شبق، استأنفت تقبيل باقي أناملها، بدأت تهتز وترتجف، بدأت تقبيل اليد الأخرى، نفسها صار يتهدج، بضع من تاوهات تخونها فتفتلت من بين شفثيها، تزم عينيها ويبدأ جسدها كله في الارتعاش، كان ما يحدث غريباً جداً علي، إلا أنني لم أتوقف، جاءني صوتها مبحوحاً للغاية، يرجوني، ويلح علي: أرجوك يا (محسن)، أرجوك كفاية!! مش قادرة أتم على نفسي!! أرجوك، أبوس إيدك!

لم أعرف أين خطأي إلا أنني توقفت، وكانت الوهلة الأولى حين فتحت عينيها وفيهما كل الحب، لاحظت أن جسدها كله قد صار مبلولاً، والعرق الغزير شملها، شفثيها مازالتا ترجفان، أخذت نفساً عميقاً وزفرته، وأتبعته بنفس آخر، وقامت وبدأت تعدل من وضع ملابسها، تنحنت واستأذنت في نفس الصوت المبحوح:

- دقيقتين وأرجع تاني، ابتدي كل إنت، بعد إذنك.

قامت من على الكرسي وكادت تسقط مرة أخرى، تعثرت في كعب حذاءها، مسحت يديها في جانبي جبينها ومسحت على شعرها ثم زفرت مرة أخرى في قوة وخرجت، فدفت أنا وجهي بين

كفي في انتظارها وكلي دهشة مما حدث لها.

يطلبني المدير لأمر هام، أقوم، أغادر مكنتي، أتحوّل إلى (محسن) جديد لا يعرف (بمّني)، ولا يذكر متى قابل فتاة اسمها (علياء)، (محسن) يعمل غير (محسن) يحب غير (محسن) متعب ومحتاج لفترة نقاهة، الجسد، ربما، نفس الجسد، ولكن من أوحى لكم أن كلهم، نفس الشخص!!؟

* * *

أيام أخريات مضت والحوار نفس الحوار، بما يحمل من قلق وأسئلة مستترة تحت ابتسامات مغتصبة، بين سلامات مغتصبة، وراء ضحكات عصبية وعيون لا تهدأ، لا تفتأ تتحرك، تتحرك، بحثاً عن مجهول، لا يعلمه أي منا.

أيّ حياة تلك التي نحيا؟

أيّ القرارات يجب أن تُتخذ وأيها يجب ألاّ؟

علمت من (علياء) أن دكتور (علي) قد اتصل بها مؤخراً، غير عالم بالطبع بأي من التطورات التي حدثت حولنا، وبدأ معها حديثاً فيما معناه أنه مازال حياً يرزق، وربما كان من المناسب أيضاً أن يذكرها أنه كان وما زال يرغبها أكثر من أي شيء في حياته ولكنه ليس بالشاعر الرقيق مرهف الحس كي يصوغ كل ما يجيش بداخله على شكل جمل وأبيات، ولكنه مازال هو، هو، الشخص المستقيم الراغب في الاستقرار والذي يشرفه بالطبع أن تصبح الأنسة المبعجلة الفاضلة سليلة الحسب والنسب البكر الرشيد (علياء) شريكة له في هذا المنزل الآمن.

الكلام الجميل ذاته الذي تود (علياء) لو تبصق عليه بعد أن يقوله!!

لم أردّ هذه المرة بالطبع، فالوضع مختلف.

بالأمس اللذيذ كان من الممكن أن أتممّص دور الناصح الأمين الذي لا بد سيخبرها أن هذا الرجل يحبها حقاً ولكن تلك هي وسيلته القاصرة في التعبير وأن هذا لا يعيبه، ولربما أخبرها أن تتوكل على الله و... كما تعلمون.

ولكن الآن، وأنا أعلم أن كل ذرة من جسد وروح فيها ترغبني وتكاد تصرخ باسمي، فالصمت هو أسلم الطرق وأمنها.

وبالرغم من كوني أحس بالموضوع هاماً جدياً، إلا أن (علياء) كانت تتحدث عنه في بساطة من تتكلم عن المجهول، عن الشخص الثالث الذي ليس معنا الآن، ولن يكون، شيء طريف، أليس كذلك يا (محسن)!!؟

بالطبع، بالطبع.

كل شيء في الدنيا طريف ما دام يقصد غيري، كل شيء ممتع ما دام يحدث لشخص آخر، آه!

آه، أيها الشخص الآخر!

أترك تتعذب مثلي وتعاني من اللامبالاة، أشعر (علي) مع (علياء) ما شعرت أنا به مع (يمنى)؟
أم إن الأمر يختلف، لا أدري، وأظني لن أدري.

وزّعوا علينا إعلاناً بالشركة عن رحلة للعين السخنة وعلى الراغبين تسجيل أسمائهم لدى
السكرتارية، وجدتها و(علياء) فرصة للتخلص من توتر الأيام السابقة وسجلنا اسمينا.

ترى ماذا ستحمل الأيام القادمة لنا، جميعاً؟

* * *

ماذا يحدث لنا كبشر حينما نتخطى مرحلة ما من العمر؟

بالأمس القريب، كنا نذهب مع الكلية في رحلة فيكون الجو مرحاً صاخباً مليئاً بالغناء والنكات
والقفشات السريعة، اليوم مختلف قليلاً، فنحن - علي ما يبدو - قد كبرنا، أتوبيس الرحلة الصامت
يشق طريقه في مللي، كدت أفكر أن أطلب من السائق الصبور التوقف ومن ثم النزول، إلا أنني
لسيب لا أعلمه لم أفعل، عينا (علياء) المتعلقة بي بطريقة تكاد تكون ملفتة للنظر؛ أخبرتني أنها
حضرت لي ساندوتشات الفراخ بالجنة التي أحبها، شكرتها في رقة، مذكراً إياها أن الوجبات من
ضمن برنامج الرحلة، أخذت أتابع ما يدور حولي من أحاديث حول تربية الأولاد، المدارس،
الضرائب العقارية، الرشاوي في العمل، المخالفات الإدارية والمرورية والقانونية، النيابة الإدارية
والعامة وبوليس الآداب، مواضيع شيقة للغاية تشعر كـم نحن نمامين، مستمتعين بنميتنا ولا
نكف، أما حوار الجانبي المتقطع مع (علياء) كان أغلبه يدور عن الطريق والسخرية من
الحوارات الأخرى الواصلة لأذناننا. وبعد فترة من الوقت وصلنا، كان منظر الشاطئ والبحر
رائعاً، غريباً، منذ دقائق كنت أشعر بالملل يقتلني والندم يمزقني، أما الآن، وحينما وقعت
عينا علي ما وقعت من جمال أخذ وطبيعة اسرة، تمنيت لو لا نغادر أبداً، لو نظل ها هنا حتى
يوم يبعثون، كنت ألحظ انفعالا وانهاراً ماثلين علي وجه (علياء).

أما السادة الزملاء الأفاضل..

فقد تحولوا جميعاً إلى كائنات متمجسة، كل وظيفتها شرب الشاي وتدخين السجائر وقرقرة اللب
والسوداني، هذا بالطبع، مع استكمال الحوار الشيق، عن الأولاد، والمدرسة، والضرائب العقارية،
والرشاوي.

* * *

ترى ما هو الفارق بين حب وآخر؟

امرأة وامرأةٍ أخرى؟

أهو اختلاف المواقف والمناسبات والحوارات، أم ترى اختلاف الأيام، أم الوجوه والأجساد، بالأمس القريب كنت أظني غارقاً في هوى (يمنى) ولا أرضى لها بديلاً، أو لربما أنا كذلك، أو لربما ساظل، اليوم أظني ساقع في غرام تلك الملاك الشيطان اللذيذ التي تحاورني بمنتهى اللطف وتسلب إرادتي رغماً عني، فتصيرني عبداً بحبها، وتغرقني في بحور من الشعور بالذنب واللذة والرغبة في التواصل مع الحاضر وكل ما يمثل.

من أنا؟

أأنا، (محسن) الأمس، أم (محسن) اليوم؟ بل ماذا أريد، أيهما أفضل، أيهما تفضل أنت، العيش على أمل، أم على واقع ملهوس؟

(يمنى)، (علياء)..

((في ٢٠ / ٧ بأحد السنوات..

احتويت وجهك بين كفي..

لامست شفتيك بتردد..

بتقديس، بلهفة، لم أقبلك..

فقط لامست شفتيك، وأحسست..

شلال الحياة الحارق ينساب لأول مرة في شراييني..

ووهج الحياة يتفجر لأول مرة في أركاني..

صرخت كل خلاياي، صرخة..

(الطفل، عند الميلاد))

أنظر لأصابع (علياء) المترددة، وأعلم أنها تتوق لنفس الملمس ونفس الإحساس حتى وإن لم تعبر عنه هكذا، في رفق أمد يدي محاولاً ملامسة يدها، إلا أنها تجفل، فأتوقف عن المحاولة، ونستأنف تأمل كل منا للآخر.

((٢٣ / ٧ نفس السنة..))

هل تستطيع أن تغفر لي الكبرياء الأحمق هذا، حين يصيبه الخلل؟

وهذا الخوف المبهم الذي يورثني الجنون حين أشعر..

ولو لوهلة أن كل مخاوفي من كونك أجمل من أن تكون حقيقة..

ستحقق، وأنت، في لحظة..

قد تتلاشي، وتتركني))

عذراً يا مَنْ كنتِ حبيبتِي، ولكنه لم يحدث، بل فعلته أنت، في بلاهة، نظرت لـ(علياء) وسألتها:

- إنْتِ ليه بتجيبيني؟!!

((الجمعة ٢٦ / ٧..))

إن القُبلة الطويلة التي طبعتها على كفي بالأمس عند الوداع، مازالت تبعث موجات حرارية تسري في جسدي..

تخبرني أنني أجتاز حاجز الزمن..

لأظل حبيسة لحظة..

هي نقطة تحول في ميزان البشرية..

لحظة مستني شفتاك..

بهذه القداسة، وبهذا الشوق))

لم تجب (علياء)، بل اغرورقت عيناها بالدموع، مشلولة هي مغلولة، فيض من المشاعر يغرقها وهي تبدو بلا حيلة حياله.

((السبت ٢٧ / ٠٧))

في لحظة..

كرهت الشوارع بيني وبينك..

والبشر الذين لا يحملون ملامحك..

والقلم والأوراق لأنها تذكرني أنك لست هنا..

وأني مضطرة للكتابة..

بدلاً من الانتحار على شفتيك))

- أنا باحبك يا (علياء)، أنا فعلاً بحبك.

المررة الأولى التي ينطق فيها لساني.. مفاجأة مذهلة.. حتى لي أنا.

- انتي أحلى حاجة ربنا عوضني بيها عن اللي فكرت إني خسرتة!

في لهفة، كالطفل الوليد الجائع يلقم ثدي أمه، تلقفت (علياء) يدي وطبعت قبلة حمراء على باطن
كفّي، بللتها بريقها ودموعها وأنفاسها الحارة المتهدجة، تناولت أنا يديها وقبلتهما في تودة ومع كل
صوت قبلة كنت أحس بجسد (علياء) بجواري ينتفض.

((الأحد ٢٨ / ٠٧))

جنون أن أنسحق في بُعدك على هذا النحو..

وأن أضيع في غيابك كما لو كنت لا أعرف للكون شكلاً سواك..

جنون أن أكون بك، أو..

لا أكون على الإطلاق..

لكن جنوني..

أبسط تعبير عن حيي..

يمكن أن، أقدمه لك))

بدأت (علياء) تنسج وقد سال دمعها غزيراً ولكن بلا صوت، كما جالسين، متجاورين، متلاصقين، فاحتويتها بذراعي، فاستسلمت وأسندت رأسها على كتفي الأيمن، ثم أغمضت عينيها عن كل ما حولها، بينما بدأت أنا في الدندنة بصوت خفيض في أذنها، مهدداً إياها، طالباً منها الهدوء، إن استطاعت.

((الإثنين ٧/٢٩))

تعلمت الحياة ذات الوجه الواحد..

البشر ذوي الإيقاع الواحد..

والأغاني ذات النغمة الواحدة..

بابتعادك، فقدت كل الأشياء أبعادها..

لم يبق غير بُعد واحد من الخلل يعتري مفردات عالمي.. ويعلمني، وجهاً داكاً للوجود))

((الثلاثاء ٧/٣٠))

أعانق قلبي، أحاول أن أفهمه أن الحياة يجب أن تمضي..

وأن الواقع لا يعترف بحالة الجمود الشتوي التي يقبع فيها..

وأنه يجب أن ينبض من جديد..

ويعاندني قلبي، مصرّاً على إعلان اعتصامه في غيابك..

ويتركني بلا نبض))

((الأربعاء ٧/٣١))

أحاول أن أنشغل عنك، كل محاولات قهرك تبوء بالفشل..

وكل الكتب التي كنت أهرب إليها، تحمل بوسيلة ما..

خطك الحبيب، أو لمحة من أفكارك..

لماذا لا أستطيع أن أحول عقلي إلى مساحة بيضاء..

وقلبي، إلى مجرد الة ضخ؟!))

((الخميس ١/٨))

مازلت أوقد عمري شموعاً في هيكل الحب..

أنهمك في صلاة طويلة حارة..

أذوب في طوفان دموعي..

هل ترى ابتعادك عقوبة على جريرة ما..

ارتكبتها دون أن أدري!!?

لا أعلم..

مازلت أنتظر أن تُقبل صلواتي..

وأنال المغفرة، فتأتي))

((الجمعة ٢/٨، بعد العودة..

أعترف أن الأسبوع الماضي، أفقدني هويتي..

واعترازي البالغ بذاتي..

أفقدني قدرتي على أن أكون وحدي دون الحاجة اليك..

أعترف أنني قبلُ كنت أكبر..

كالأطفال حين يأخذهم العناد..

وأني الآن ودّعت عنادي الطفولي..

وكبريائي الأثوي..

وأستجديك كي تأتي))

الآن، متذكرا رسائل (يمنى) لي أثناء غيابي في رحلة عائلية لمدة أسبوع، والتي مازلت أحتفظ بها على تليفوني المحمول القديم.. أظن أني لا أفهم شيئا، سأحيا اللحظة مهما كانت.

ولن أغامر، أبدأ، بالتساؤل مرة أخرى..

عما حدث، ولماذا؟!!

* * *

الجزء الرابع

أيها الملاح قم واطوِ الشراعا
لمْ نطوي لجةَ الليل سراعا
جَدِّفِ الآن بنا في هينةٍ
وجهة الشاطئ سيراً واتباعا
فغداً يا صاحبي، تأخذنا
موجة الأيام قذفاً واندفاعا
عبثاً تقفوا خطى الماضي الذي
خلت أن البحر واره ابتلاعا
لم يكن غير أويقات هوى
وقفت عن دورة الدهر انقطاعا
فتمهَّل، تسعد الروح بما
وهمت أو تطرب النفس سماعا
ودع الليلة تمضي، إنها
لم تكن أول ما ولَّى وضاعا
سوف يبدو الفجرُ في آثارها
ثم يمضي، ودواليك تباعا

الفخر، لأن لي يدا في كل ذلك، أم تأنيب الضمير؟ إذ لا بد أن أعترف أيضا بحقيقة هامة، هي أنني قد بدأت بالتساؤل، هل أحبها حقاً أم؟!..

أجل، أنا لا أعرف.

أعلم أنني أخبرتها بذلك، ولكن الآن، وبعد أن صارت الأمور تأخذ منحنيات أخرى.. والأحاسيس والتصرفات تنتقل ما بين الخانات لتستقر في المقامات الأعلى، كان علي الآن حقاً أن أعترف على الأقل بيني وبين نفسي، أن ما أحس به الآن نحو (علياء) مختلف تماماً عما كنت أحس به تجاه (يمنى)، فاندفاعي نحو (يمنى) كان أكثر، لهفتي عليها، حتى إن ضربات قلبي عند لقاءها لا بد قد كانت أزيد!!

اللجنة، ماذا حدث لي! أين المشكلة؟ في، أم في (علياء)؟ أأكون قد فقدت القدرة على الإحساس من جديد؟ أصبح قلبي ميتاً خرباً لا ينبض إلا لأنه يعمل كآلة للضحك!!

والآن ماذا أفعل، أستمر فيما أنا فيه، مستمتع بالإحساس المذهل لإنسانة تعبدني وتشملي برعايتها وحبها وحنانها ودفتها وعطفها، أم أهدم كل هذا على رأسي مرة أخرى؟

أطلق في الدنيا وحيداً مهجوراً تعيساً، أم أتمسك بهذه القديسات من النور؟ تلك النسائم الرقيقة التي تهب من الجنة علي كل يوم، تلك الأنثى التي تصير كل ما تتمنى وقت ما تتمنى.. ولماذا أنا مصر كل هذا الإصرار على منح نفسي كل ما تستحق من تعاسة وشقاء!!

ربما الأمر فقط يحتاج لبعض الوقت، أو ربما أن حب (محسن/يمنى) له طعم يختلف بكليته عن حب (محسن/علياء)، أكيد هو كذلك، إنه نوع من الكيمياء، لا يجوز أن تختلط أشياء مختلفة في مزيج فينتج عنه نفس المركب، أليس كذلك!؟

قررت أن الوقت غير مناسب للمرة لمثل هذه المواجهة الآن، فقد أقفلت باب المناقشة، وليبقى الوضع على ما هو عليه، وعلى المتضرر اللجوء للقضاء العاطفي، هذا إن وجد.

حسناً، نفسي التعسة، ها قد جاءك الحكم بتأجيل القضية إلى جلسة أخرى، حضري نفسك واستعدي، لربما لن تنجي المرة القادمة.

عصراً، جاءتني مكالمة غريبة من رقم غريب.

إنه (حازم)، أتذكرونه؟ ذلك الشاعر المهذب من مجلة الكلية أيام الدراسة، إنه سيتزوج وهو يدعوني لحضور فرحه، لم أكن أعرف قبلاً أنه يضعني في مصاف الأصدقاء المقربين الذين يدعون

إلى مثل هذه المناسبات، إلا أنني بالطبع وافقت وحاولت أن أستحضر كل حرارة لدي وأنا أهنته.

- لا تنس أن تحضر (يمنى) معك، بالعربي الفصحى أهه!

ثم ضحك.

- على العموم أنا سبقتك وعزمتها، عقبال ما نفرح بيكو بقى.

وانتهت المكلمة، وهنا توقف الزمن.

لا أعرف عدد القرون أو السنين التي مرت قبل أن أستعيد قدرتي على الحياة مرة أخرى، على التفكير، فكرت أن أعاود الاتصال بـ(حازم) - فهو آخر رقم اتصل بي - والاعتذار له عن الحضور، ولكن يالي من أحمق! كيف سأفعل ذلك وأنا منذ دقيقة كنت أعده بالرقص شخصياً والاعتماد والثقة التامة في حضوري!؟

ترى ماذا قالت (يمنى)، وهل أخبرها أنه بصدد دعوتي أيضاً؟ فقد كان (حازم) أقرب لها مني منذ البداية، ولربما يكون هذا سبب دعوتي من الأساس، فهي التي...

... أووه!

كلا، هذا ليس من العدل في شيء!

لا أريد أن أعاود التفكير في الماضي مرة أخرى، أنا لن أذهب، لن أقدر على مواجهتها إذا حضرت، والوقت حرج جداً ولا يسمح بمثل هذه المفاجآت القاسية، أنا الآن في فترة احتاج فيها لكل قوتي.. سخفاً! لماذا أنا خائف مرتعد هكذا، لماذا تسارعت نبضات قلبي وأحس بالاختناق والحرارة يغزواني، لماذا يرتعش جسدي كله وحلتي جاف وريقي مرّ علقم، والآن، يا (علياء)، يا منقذتي في الأيام الأخيرة، ماذا أفعل!؟

أمسكت بالهاتف، وبعد أن طلبت رفقها أغلقت الخط وألغيت المكلمة،

أحمق أنا، أحمق!

ماذا سأخبرها هذه أيضاً؟! هل أنا ضعيف إلى هذا الحد؟ غير قادر على أيّ مواجهة؟! غير قادر على أن أحمي خارج ظل (يمنى).. أهى عملاقة ممتدة إلى هذا الحد، أطاغية هي كما أتصورها أنا؟ متغلغلة متوغلة داخلي وداخل كل ما أمثله.. ترى كيف حدث ذلك لي، بل مني!؟ إنها كالخدر تماماً، غير قادر أنا على الشفاء منها يعلم الله إلى متى، فلنتفرج جميعاً على الساحرة العظيمة وهي تؤدي فقرة التنويم المغناطيسي، ولكن بلا إفاقة.

وانهمكت أنا أيضا معها في المبارزة والترشق بالقبلات الطويلة الساخنة.. لم يعد أي منا مدركا لما يحدث أو نفعل، خرج الأمر من أيدينا، وبعد فترة من الوقت، كنت أشعر برغبة عارمة في الاستغراق في الغيبوبة اللذيذة التي أدركتني، لم أستطع أن أغلق انخط، لم أدر هل نمت أم أغمي على، المهم أنني في غيبوتي أو إعفائي تلك خيل لي ما يشبه المبارزة بالسيوف بين (علياء) و(يمنى)..

حشد كبير من الجمهور يشاهد المبارزة المرتقبة.

(علياء) تسدد بحد سيفها ضربة قاضية لرقبة (يمنى)، في بساطة تتلقاها (يمنى) على نصلها فتصدر عن الضربة صوت كالهدير، وتصدر شرارة عظمى متألفة، يرتفع نظري وتختلف زاوية رؤيتي فأصير فوقهما طائراً محلقاً في الفراغ، كل منهما ترتدي غلالة رقيقة شفيفة للغاية، مباعدين لما بين ساقيهما، كل منهما واقفة على ما يبدو أنه قمة لجبل..

مع التماع النصل يصطدم بالنصل، يلعب البرق في السماء، التي تبدأ بدورها في البكاء، مطراً غزيراً يهطل مبللاً البطلتين الأسطورتين..

همت (يمنى) بالقفز من فوق قمتها لتلحق بـ(علياء) على القمة الأخرى إلا أن (علياء) في دهاء بادلت (يمنى) القفز بالقفز، وإذ هما في الهواء إذ تتبادلان المبارزة مرة أخرى..

تطلع عليهما الشمس وهما على وضعيهما تتبارزان..

تهب ريح عاصفة..

تمزق ملابسهما وتحلل تدريجياً، والقذارة تشمل وجهيهما..

شعرهما يتشعث ويلعب العرق الغزير على جسديهما..

يحلّ الليل، ييزغ قر، تمطر ثانية..

رعد، برق، شمس، أقار ونجوم..

استغرقت في المتابعة المثيرة متغيرة الابعاد، أحبس أنفاسي ما ظننته دهرًا، ثم ما عدت أذكر بعد ذلك شيئاً..

* * *

(قالت وهي تأخذ بعضاً من شعره، سأحرقه)

هل تزمعين بحقي، أن تحرق ديواني؟!
وتشهدي أشعاري، ضحية النيران؟!
أم إن ما تضميرينه،
أن تحجبها بعيدة..
حتى إذا جاء وقت، يوماً، وكنت وحيدة..
جلست كي تقرئها، قصيدة..
فقصيدة؟!!

- د. أحمد مستجير -

(هل ترجع يوماً أسراب البط؟)

(٢)

من جانب خفي بالقاعة، يتصاعد صوت مطرب شهير مرتلاً أسماء الله الحسنى في صوت رخيم،
يخترق ذواتنا ويجعلنا في حالة ترقب مهيب، الآن تبدأ المراسم النهائية لخدمة جديدة يقوم بها
شخصان، يتعاهدان أمامنا - جميعاً - على الحب والمودة والرحمة، فينقضان العهد الذي أمامنا - جميعاً -
قطعا بعد ذلك، الحياة مع تشاؤم وردي لذيذ لقاسية للغاية!

في ركن بعيد، هادئ بالمقارنة، أترقب ساعتى، فرستا رهاني لم تحضرا بعد، لم يخبرني أحد أن
يناير هذا العام سيكون حارا هكذا، داخل شرنقة سوداء تغلفني، أعرق غزيراً غزيراً كأنه نزييف،
أنظر لساعتي مرة أخرى، لم تحن ساعتى بعد..

أين أنتِ يا (علياء) حتى أحصل على بعض من الثقة!

أين أنتِ يا (يميني) حتى تحدث المواجهة بيننا وأنتي!

لماذا أتيت؟! حقيقة لا أدري!! كالفراشة يجذبها الضوء، لتحترق!!

أبدأ أسمع أصوات المزمار البلدي، دقات الطبول، فلول الراقصين عند صدر القاعة، أبخرة ملونة،
قهقهات ونكات هنا أو هناك، الكل فرح وسعيد لا يعلمون أنها نهايتي أنا، أنها قيامتي أنا، وأني

بمتهى الشجاعة أواجهها..

فجأة تظلم القاعة، تبدأ الدفوف والطبول في القرع مصحوبة بأصوات النفير العالية، أبخرة ملونة لا تعلم من أين أتت بدأت تملأ الجو لكن أصوات السعال - القليلة - اختفت وسط الأصوات الأخرى التي لا ترجم، الآن يدخل (حازم) وبجواره العروس الجميلة، في بطء يتجهان نحو الكوشة محاطان بالأهل والأصدقاء..

الحمد لله، هأنذا أرى (علياء) بستان سهرة سماوي اللون من ثلاث قطع ترفل كأميرة من ألف ليلة، أحسست بعضاً من الثقة لدى رؤيتها، على الأقل لن اضطر لمواجهة ما سأواجه وحدي، كلمات قليلة وبضع نظرات أفهم منها أنها تتني لنا نفس ما يحدث الآن، بل تنتظره بشغف، ابتسامات وغمغمات تحدث بيننا، نصير بعدها جزء من كل بيتسم ويشارك الآخرين منظومة مجاملة العروسين..

مطرب آخر، وأغان راقصة، يبدو الليل طويلاً جداً للانتظار، فكرت ماذا لو أني اكتفيت بهذا القدر من الحفل وغادرت، هأنذا نفذت ما وعدت به، راقصاً، متعرقاً، لاهثاً، كأفضل ما يكون تنفيذ الوعود، أظن أنني تعبت، لدي اجتماع عمل هام صباحاً، سأستأذن من (علياء) وأودع (حازم) وعروسه متمنياً لهما التوفيق وطالباً منهما تسمية المولود الأول لهما (محسن) بالطبع، و..

سبق السيف العذل..

الكائن الأسطوري المسمى تجاوزاً (يمنى) يدخل من صيدر القاعة، أتجه نحوه بنظري مشدوهاً، منوماً، مسلوب الإرادة رغماً عني، وسط الراقصين المهللين المحتفلين وحدي توقفت، لا أعود أسمع دفوف وطبول موسيقى الحفل، بل أسمع - وحدي - دقات قلبي، عالية كالدفوف، صاحبة كالطبول، مجلجلة كالموسيقى، توقفت (علياء) أيضاً لحظة أدركت ما بي، بعينين مدبرتين، كأعلم ما تكون بي وبكل ما أحس، وفي بطء صورة فوتوغرافية، أو لوحة طبيعية، اتجهت نظرات (علياء) صوب (يمنى)، الجو ساخن حقاً هنا، ازدردت (علياء) لعابها في صعوبة، نظرت لها كالغريق، عينا (يمنى) شاردة كأنما تتأمل مجهولاً غير مرئي لنا، الحركات كلها ثقيلة بطيئة متناقصة مع الصخب والحيوية في كل من يحيط بنا، رداء أسود لامع بارع متلألئ غلف (يمنى)، جسدها الرائع بدا متسقاً مذهلاً تحته، لكن عينيها ذابلة ذاهلة مبعثرة، غلالة شفيفة من حزن تغلفها رغم جمالها البديع، غصة عارضة أحسها في حلقي، انتفاضة في صدري، ليست هذه (يمنى) التي كنت أعرفها، إنها (يمنى) أخرى، محطمة مهزومة..

نظرت إلى (علياء)، كان وجهها قلقاً كما يجب أن تكون، هي غير عالمة بعواقب مواجهة تلك حتى على مستواها هي، فأمامها الآن امرأة كانت أقرب ما تكون لها، ألصق بها من جلدها، أعرف لها من نفسها، حتى إنها ودت يوماً لو كانت رجلاً لتتزوجها، ورجل هو كل حلمها، ومستقبلها الذي تمناه، والذي كان يوماً - وربما حتى الآن - ملكاً مملوكاً للآخرى.

أما أنا، ااااه، ااااه مني أنا! أنا الممزق بين ما كنت وسأكون، بين الماضي بكل روعته والحاضر بكل وعوده وأمانيه، أنا المجرّح جرحاً يبدو ألا اندمال له، لا شفاء منه، أنا المطحون بين شقي الرحي..

مازالت عينا (يمنى) الزائغة غير مصطدمة بعينيّ أو عينيّ (علياء)، لو أُنِي أستطيع أن أكلها لأعرف ما تحس به الآن، أما (علياء) فقد بدأ بعض من ذعر عليها، ما المبرر له لا أعلم، أوصلت للدرجة التي أصبحت تحس بما أفكر لحظة أن أفكر فيه؟ أمازالت تخشى المنافسة والمقاومة مع ما يبدو الآن أنه شبح لبقايا (يمنى)، أم تراها خائفة هي من انكسار (يمنى) وذبولها أكثر مما كانت تخشى قوتها وجبروتها؟ أتراها خائفة هي، مدعورة من ضعفي وحنيني صوب (يمنى) الضعيفة الهزيلة الواهنة؟

يالنا من حفنة مساكين لا نعلم لمّ تلاعبنا الأقدار بهذه القسوة والعنف، لا نعلم - كلنا - ما يخجئ الغد لنا، مكتوب علينا أن نعيش مجروحين بجراح جرحناها لأنفسنا، نعاني ما أقترفناه، ولكن ما ذنبي أنا لأشهد هكذا حياة، لأعاني مثل هذا جرح، أن أعاني هذه المعاناة، لست أنا من بعث في المرة الأولى، ولست أيضاً من بدأت في المرة الثانية!

ماذا لو أُنِي أخبرتكم أُنِي أرغبهما معاً؟! إنه العشق السقيم الأناي الذي لا يقرّر ولا يفرّق، بل يرغب ويطلب ويمتني، عشق كالطفل، لا منطق له، بل مجنون، مجنون أنا، أو أصبت بالجنون حتماً، ولكن ألم يكن أحدكم ليجن مثلي لو حدث له ما حدث لي؟!!

* * *

كل يوم لي شأن، كل حين لي شعور..

هل أنا اليوم أنا، منذ ليالٍ وشهور..

أم أنا عند غروب الشمس غيري في البكور..

كلها سألت نفسي جاوبتني..

لست أدري!!

(إيليا أبو ماضي)

* * *

أطول أيام عمري وأحلك لياليها لم تنته بعد..

اقتربت مني (علياء)، (يمنى) تبدو كما هي، تائهة زائغة بلا هدف، حتى إنها تجاهلت رؤيتها لـ(علياء)، أو لم ترها فعلا، لست أدري.. وبالرغم من اقتراب (علياء) مني، إلا أن النسق الذي اتخذته قدمي للاقتراب منها بدوري، كان يقربني لـ(يمنى) أكثر، نظرت لـ(علياء) في شبه اعتذار، نظرة مهزومة في عينيها، اختفت (يمنى) وسط الآخرين، هزرت رأسي أن لا، لمحت أثر دمعة في عين (علياء)، اللعنة عليك يا (يمنى)! ما الذي تفعلينه بنا جميعا! مسرعا جدا اقتربت من (علياء).. كنت أحس جسدها ينتفض، ناظرة إلى الأرض في استكانة، أحطت كتفها بيدي وسألتها:

مالك؟!!!

- ولا حاجة. (وكانت كاذبة)..

- عايزة أمشي يا (محسن) لو سمحت. (أردفت)..

- طيب اقعدى استريحى شوية. (حاولت تهدئتها)..

لا أعرف من أين أتيت بكل هذا الهدوء رغم أنني فعليا كنت غير واعي ولا دار بما يحدث لي أو ما يحدث من حولي، صداع رهيب يكتفني، إلا أنني أتأساه، ريقى جاف ومعدتي متقلصة وأنفاسي متهدجة متقطعة متسارعة..

- عايزة أمشي (وصوتها يخفق) لو سمحت (يبدأ يختلط بالبكاء).

لم أعد أعرف ماذا أريد أن أقول، كان من المفروض أن أحس أنا بما تحس به (علياء) الآن، أو لربما أنا أحسه ولكني غير واعي أنني أحس به! لذا وجدتي أقول لها في آية وتسليم بالأمر الواقع:

- طيب، يالا بينا..

وبينما نحن نسلم على (حازم) وعروسه، مغادرين للقاعة بمن فيها، لم أتمالك نفسي من النظر خلفي، علي أراها ثانية..

ولكن حمداً لله، لم يحدث!!

* * *

من ثقب صغير للغاية، كأنه ثقب الإبرة..
أبحث عنك، يا فرح، ولو فكرة..
أستجديك بغناء الطيور وسُهد العاشقين والقمرّة..
أن تأتي، أن تُطفىء نار قلبي الجمرّة..
قد حط الحزن مكان الفرح بالقلب، قهرا..
أأبكي، وما يفيد البكا، ولو كان دهرا..
أُتري أتطهر بالدموع..
تغسل روحي، تجعلني حرّا..
أناجيك يا نفس بالمسا أن تصفي، وتصيري نهرا..
أسبح، بل نسبح، كلنا، أحياء، زُمرّة..
أأحلم أنا، أم أني واهم، أم شبت سكرًا..
يكفيني منك يا لدنيا لو بسمّة، لو ضحكة، لو ذكرى..
سأحكي يومها أني قد عشتك..
ولم أر منك الصدّ ولا الهجرا..
أحبك يا نسمة، يا وردة، يا ريح، يا شجرة..
أحبك يا بيضاء، يا حمراء، يا جميلة، يا سمرا..
ألوان زاهية هي ما أبحث لألون أيّامي..
أتساعدني، أتدلّني..
أتمد لي يدك بالخبرة!!؟

* * *

ساهرًا، مُسهدًا، مفكرًا، كنت أنا أو ظننت، باحثًا عن فرحتي، عن ذاتي، عن حبي، عن حياتي، متسائلًا، ناقمًا، حانقًا، على نفسي وعلى ترددي واستقراري، راغبًا لو أنني أعدت حياتي مرة أخرى، أجل أعود بالزمن للوراء، كلنا يبحث عن آلة زمن ليحيا المستقبل ويرى ما فيه، أما أنا فأرغب أن أعود إلى الماضي، أعيد التفكير مرة أخرى في كل شيء، ما رأيكم لو أنني عدت أكثر من ذلك حتى أصل إلى والدي وأرى إن كنا يرغبان في ولادتي مرة أخرى أم لا!!

الساعة الآن الرابعة صباحًا، ترى ماذا تفعل كل منهما؟

ما الذي جري لـ (يمنى) بعيدًا عني، وما الذي أغضب (علياء) هكذا؟ لو أنني لم أقل لها أنني أحبها لربما كان الأمر أهون، لو أنني لم أقترب هكذا لما كنت أذيتها، أتراني لعنة من نوع ما، أسبب البؤس والشقاء لكل من اقترب منها؟! بالإضافة لي!!

ماذا أفعل كي أريح وأستريح، أبتعد؟!

ولكني أحتاج لكل منهما، أجل، ما زلت أحب (يمنى)، وما زلت أحتاج (علياء).. لماذا لا يستطيع ثلاثتنا الاجتماع سويا، أجنون هو؟! ماذا لو أن في ذلك سعادتنا، أظنها ستكون تجربة فريدة للغاية، جديدة للغاية، أعتقد أنني بدأت أفقد عقلي، بدأت أذوي وأضحل، لا أستطيع التفكير أكثر!

أأصل بـ (يمنى) الآن؟ هذا إن لم تكن غيرت رفقها، رغم أنها الرابعة صباحًا.. أم أتصل بـ (علياء)، لأطمئن عليها وأطمئنها، ولو كاذبًا، أو لا أفعل شيئًا على الإطلاق، دبروني، أخبروني بالله عليكم، أين هي سعادتني، أين الطريق إليها، وكيف، إني أتمزق، سأعدوني!

* * *

((خلف أشياء بسيطة، أخبئ نفسي، لتجدني))

* * *

من تظنون قد نام الليلة الماضية؟! ربما لا أحد..

المهم أنه ما إن حل بي النهار وحطّ عليّ نور الشمس، كإلهم الراح الثقيل على صدري وقلبي دون أن أنعم ولو بلحظة نوم واحدة - هذا عني أنا شخصيًا - حتى كنت قد قررت إعطاء نفسي إجازة اليوم، أجل هكذا، ربما أكون مريضًا للغاية اليوم، اختراع جيد، أليس كذلك؟ كم مرّرت

علينا من أعوام منذ التقينا، ثلاثتنا؟ نحس سنوات، سبع، تسع؟ لم أعد أذكر، يبدو الوقت القليل شهراً، والحدث الواحد من حياتنا دهرًا، بعد فترة من التردد، حزمت أمري، رفعت سماعة التليفون واتصلت بـ(علياء)، مازلت أحاول أن أتثبت بحاضري، متناسياً الماضي..

- آالو.. (مرهق للغاية أتاني صوتها)..

- (لم أرد للوهلة الأولى)..

- آالو، (محسن)؟ (في فراغ صبر وضيق واضح)..

- أيوة.. (بصوت خفيض تمامًا، هو كالهمس)..

- (محسن)؟! (صوتها متسائلاً كأن صوتي لم يصلها)..

- أيوة يا (علياء).

يبدأ تحفزها وصوتها يهدآن تدريجياً:

- خيرا يا (محسن)؟!؟! فيه حاجة؟!؟! أنا أسفة إني ماجيتش الشغل النهارده، مصدعة شوية وداخل عليا برد.

كان السؤال مفاجئاً كالصاعقة، جافاً كاللحم، مرًا كأنه عصير صبار، ارتبكت، أحسست بذب مجهول لا أعلمه.

- لا، لا، ولا حاجة، بس.. سلامتك، سلامتك ألف سلامة، أنا كان مارحتش، الظاهر نفس الصداق والبرد.

- طيب. (قاطعة، حاسمة).

كان دوري في التساؤل:

(علياء)!!!؟

- نعم؟

- فيه حاجة؟!؟!

- لا.

قالت روعي حاضر، وكنت أعنيها، مدركا أن شيئاً ما انكسر، وأني لن أعود ملكا متوجا كما
تعودت.

ستكون الحياة، كالعادة، أصعب وأذل!!

* * *

يا حبيبي الذي تاه مني صداه..

من ترى ضيِّعك!!؟

بعثرتني أعاصير هذي الحياة..

يا ترى ما الذي صنَّعته معك!!؟

جفت السحبُ فوق الغدير القديم..

والشجيرات أغفت على ضفتيه..

لم تعد نسمةً تعبره..

ماتت الساقية..

ماؤها قد نضب..

صوتها قد ذهب..

لم يعد فوقها ما يطل، سوى، قمر..

ينتحب!!

- أ.د. أحمد مستجير -

الظل في ضوء القمر

(٣)

ع

ع

ع

ع

ع

ع

فنجان قهوة اخر، اتبعتها بسيجارة، لم أعرف متى بدأت أدخن، بضع شعيرات بيضاء بدأت
ألحظها تغزو فودي وشاربي، شاربي؟! متى بدأت أربي شاربي؟! لماذا اليوم أبدأ أكتشف أشياء
غريبة عني؟ أجل، تذكرت.

اليوم، عيد ميلادي!!

ابتسمت ابتسامة بلهاء لا معنى لها، حينما دخلت عليّ أثناء شرودي هذا تلك الفتاة الجديدة
بالشركة.. ما اسمها؟ أظن (إنجي)، بيضاء، لطيفة، مبتسمة، مريحة الصوت والملاح، أخيرا
لاحظت وقوفها أمامي متأملة إياي، في حنو بالغ أخبرتني شيئا جديدا للغاية عني:

شكلك مرهق قوي يا أستاذ (محسن).

حاولت أن أبدو شاباً كفاية، وهو ما لم أعد أحس به، فسألته:

- أستاذ (محسن)؟! أستاذ (محسن) مين؟!؟

ارتبكت البيضاء اللذيذة أمامي وصارت خدودها حمراء، فطرقت الحديد وهو ساخن:

(محسن)، (محسن) بس!! أنا مش مدير الشركة، على الأقل لسه.

وغمزت بعيني لها فضحكت في صدق، كانت ضحكتها صافية من النوع الذي ما عدت أسمعه هذه
الأيام:

أنا متوقّعة إن حضرتك تبقى كده إن شاء الله.

مثلت الغضب، وكأني أوبّخها ابتسمت - بحق - وقلت:

- حضرتك؟! برضه حضرتك؟! أمال كما بنقول إيه من شوية؟

احمر وجهها نجلاً وغمغت معتذرة:

أسفة..

ثم أردفت:

أصلي مش متعودة لسه، سامحني..

كانت اللحظة التي بدأت أربت فيها على كتف (إنجي)، حينما دخلت علينا (علياء) بلا استئذان، كأنه لا يكفي ما أواجهه معها منذ فرح (حازم) المشؤوم، تلاقى عيوننا في لحظة حاسمة، الاحمرار يحول وجه (إنجي) الى لون قان.. ترتبك، أرتبك أنا، ألمح اللوم في عين (علياء)، نظرة مهزومة صارمة غاضبة مستغيثة باكية، يحف حلقي، عيون تغرورق بالدموع، كلا يا (علياء)، ليس الأمر كما تفهمين، أيتها الحمقاء المتسرعة:

- (علياء)!! انفضلي.

في صوت مجروح، مختلط بكبرياء وترفع ليس لهما ما يبررهما:

- متشكرة جداً، متشكرة.

تغضت (إنجي) وبدأت تغادر:

أستأذنك بقي يا (محسن).

ثم خرجت، دخلت (علياء)، عيناها حمراوان بلون الدم، جسدها يرتعش، غلالة رقيقة من دموع تشغل الحيز ما بين جفنيها، تهكت في صوت مخنوق وهي تشوح بأصابع يديها:

أستأذنك بقي يا (محسن)!

ثم أردفت:

أستأذنك بقي يا حبيبي، مش كده؟! إنت ها تفضل كده، مش عارف حاجة، غبي، هاتضيّعي منك، أنا بالنسبة لك إيه، لعبة، تعويض، الدوا البديل من صيدلية؟! انت ما بتعرفش تحب يا (محسن)، انت مش عارف تحب، أنت حبيت (يمنى) ويس، ويس!

كانت قد انهارت وبدأت تجهش بالبكاء، حاولت أن أدفع عني تهمة أظن أنني بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب:

- والله مفيش حاجة، والله العظيم ما في حاجة.. انتي الظاهر اتجننتي!

التفتت نحوي في حدة، عضضت شفتي السفلى مدرّكاً أنني أخطأت التعبير..

- اتجننت!!! (صرخت) طبعاً اتجننت!!! اتجننت إني حبيتك!! حبيت واحد زيّك ما يحسش!! أو خلاص بطل يحب!!

وأخذت تبكي، في صوت خفيض كأنه الهمس قلت:

هل أنا حقا، ما قلت، لا أعرف كيف أحب، أو لم أعد أقدر أن أحب؟ هل انتهى ما بداخلي من حب؟ هل استهلكت كل حي فترة وجودي مع (بمى)؟ هل أصبحت خاويا خربا، مجرد آلة جامدة؟

أاااااه، ياللكارثة!

أنا لا أستطيع أن أحيا بلا حب، دون حب، دون أن أتمتع برضاب الحب، أحسست بضيق بالغ، أحسست بالقهر، طاقة مدمرة تتولد داخلي، أريد أن أحطم، أن أكسر، أن.. أنتحر! أشعلت سيجارة أخرى بجوار تلك التي مازلت أدخنها، نظرت للدخان المتصاعد من السيجارتين معا، دوائر وحلقات مفرغة تختلط سويا في تناغم لذيذ.. ماذا لو أنني تبخرت هكذا، وصرت دخانا، أختلط بالأشياء وأمتزج وأصير كما لا نهائيا في الفضاء الواسع، لا أفنى ولا أتغير، بل أتمدد وانتشر، حتى يبدو كما لو كنت تلاشيت.. ولكنه لم يحدث، بل فقط صرت شفيفا، خفيفا للغاية، متشعبا ممتداه.. جميل، جميل جدا..

اتصلت ب(علياء)، ردت عليّ (أمنية) - أختها إن كنتم نسيم - إنها متعبة قليلا ونائمة، بالأحرى، إنها تقول لك إنها نائمة!

لو فقط تواجهني وتخبرني بما تحسه، بما تريد مني أن أفعله..

لو فقط أواجهها، وأعتذر، وأتعهد لها بال..

ال.. أتعهد لها بال(ماذا؟!).

مرة يا إلهي تعطيني فيها نعمة المواجهة، موهبة أن أعرف، ملكة أن أدرك وأتفادى أو أفعل، هل صحيح يا إلهي أنني مخطئ إلى هذا الحد، إلى هذا الحد مذنب؟!!

أنا حقا، ما يقولونه جميعا عني؟ أفاشل أنا يا إلهي؟!

ألا أستحق حقا يا إلهي أن أنعم ببعض الهدوء؟!!

أجني يا إلهي، أنت غاضب مني، حقا؟!!

أجني، هاأنذا أناجيك، وحدي، مدركا لخطئي، أستغفرك وأرجوك الصفح والغفران، أطلب منك اللطف في مقاديرك، ما عدت - يا إلهي، يا حبيبي، يا وكيلى - بقادر على المقاومة أكثر..

أحسست صدري نارا، ووجنتي ابتلتا بتأثير دموع سقطت مني سهواً ولم أحسبها، جاءني أمي تلك اللحظة وكنت قد مسحت دموعي، وأزلت بعضا من الضيق الذي كان باديا على وجهي، وفي

اللحظة ذاتها طلبتني (إنجي) على التليفون.

أخبرت أُمِّي أن تعتذر لها بتعبٍ قليلاً ونومي، أليست تلك هي الحجة اللازمة دوماً؟ لست على استعداد للتوضيح في (إنجي)، أو غير (إنجي)، حتى لو كانت ابتسامتها فجراً، وخذودها بيضاء تمرّ لذي الخجل ووجهاً صافٍ كأنه اللبن الحليب، لا مكان عندي، أنا متفرغ الآن لحل ما أنا فيه من مشاكل!

المشاكل الجديدة، مكانها، وقت آخر!!

* * *

لحظاتٍ، أظن أنني سأكف عن التنفس..

حين أفكر كم أحبك..

لحظاتٍ، تراوغي دموعي فتتكّس..

أتخيّل حياتي في بُعدك..

لحظاتٍ، أدرك أنني لن أتحمّل..

حانت لحظتي، سأجنّ..

لحظاتٍ، أتشرّد بين خوف أمل..

أضيق بثنيات الزمن..

لحظاتٍ، لا أصدق أنك بجواري..

وهمسك يلثم قلبي..

لحظاتٍ، أصرخ عالياً ولا أدري..

أنت طريقي ودربي..

لحظاتٍ، أكون وحيداً، جداً، أبحث..

غائبة أنت، أما جرحي، فيمكث..

لحظاتٍ، أعرف كم أنا خاؤٍ بدونك، أجوف..
أينصفي الزمن، أم سأظل أنزف..

(٤)

يمضي بنا قطار العمر ولا يتوقف، لا ينتظر..
لا يهلك الفرصة لمراجعة النفس أو التأمل، إلا قليلاً.
أصبحت الآن طيراً حراً طليقاً، لا (علياء) لا (يميني)، لم تدخل (إنجي) حياتي، وأحبتي فتاتين
أخرتين لا أذكر الآن اسمهما على وجه التحديد..

ولكنه والله العظيم حدث!

بالأمس فقط أدركت ترقية جيدة مع زيادة معقولة في راتبي، بل وأصبحت لي سكرتيرتي
الخاصة، أعتقد أنه قد حان الوقت لأغير سيارتي القديمة المتهالكة بأخرى أحدث، ولأفرحكم أكثر
سأخبركم بالخبر السري الذي كنت لا أود أن أروح به، لقد رشحتي مدير الشركة للسفر للخارج
للتدريب على تقنية متطورة سندخلها للشركة قريباً.

لا بد أنني سعيد للغاية، وجاهة اجتماعية، دخل جيد، وقلب خاؤٍ، كيف لا أكون في غاية
السعادة؟!!!

الآن أتذكر أنني توقفت عن الكتابة منذ فترة طويلة، لقد شغلتني الحياة جداً، أمسكت ورقة وقلماً..
حسناً، الآن سأحاول أن أكتب أي شيء، كلا، كلا، لا أرغب، لقد كففت عن الانفعال
بأي شيء..

اليوم سبوع بنت (حازم).

ضغطت زراً خفياً بمكتبي، على الفور دخلت سكرتيرتي الحسنة اللذيذة (سيلفيا)، طلبت منها أن
تشتري هدية مناسبة للمولودة وتبعثها، أنا مشغول جداً، ولا أظن أنه لدي الوقت الكافي لزيارة
(حازم) وإعطاء الهدية بنفسه للمولودة.

أومأت (سيلفيا) أن حاضر، فصرفتها.

في عليةٍ منمقة على مكثي اصطفت أصابع معدودة من سيجار كوبي أعرف أنه فاخر، ابتعته
خصيصاً من أجل الترحيب بالعملاء المهمين.

سأرحب بنفسى قليلاً، (محسن) بك.

تناولت سيجاراً غليظاً، وبحكم التقليد الأعمى، سحبتُه من تحت أنفي متشمماً إياه، قضمت طرفه وتناولت ولاعة نخمة من فوق مكتبي.. أشعلته، ارتشفت من السيجار في عمق، في شبق، في تلذذ، خدر جميل يغزوني.

خلفي مشغل «سي دي» ضخم بنظام صوتي بديع مجسم، ضغطت زرّاً في جهاز الريموت كنترول فتصاعدت منه نعمات هادئة لذيذة، موسيقى كلاسيكية بديعة.

أوشكت أن أغادر كرسي وأبدأ في التراقص على الأنغام كفالسات الدانوب الأزرق، أفرد ذراعي وأبدأ في بسط الورود البيضاء حولي مغمض العينين مبتسم الثغر.

لكن..

مهلاً، ما هو الذي يحدث لي، أصبحت سعيداً إلى هذا الحد لخواء قلبي وفراغ حياتي؟! ما الذي صبرني هكذا، جعل مني مسخاً لا إنسانياً لا مشاعراً له هكذا؟ أحقاً أرغب أنا في ذلك؟ أستغني هكذا وبكل بساطة عن نبض قلبي، عن وجداني واحاسيسي؟

يبدو لي أن ذلك هو الطريق الأسلم.

تساءلون عما حدث مع (علياء)، وما الذي صار ل(بمنى)، وما هي حكاية (إنجي)، ولربما تساءلتم عن الفتاتين - على الأقل - الأخرتين اللتين سقطتا صريعة هواي..

ها.. ها.. هااي!

كنت أظن أن حدسكم أقوى من هذه التساؤلات.

حسنًا..

(علياء)، أبدأ.

حدث كما يحدث دومًا، ينكسر شيء ما بيننا فنظن بعدها ألا عودة للماضي، ويبدأ كل منا يؤقلم نفسه لفكرة أن الآخر غير موجود، أختفى، بالرغم من أنه/أنها مازال/زالت موجودا/موجودة.

كل محاولاتي باءت بالفشل.

وللحق أيضًا، (علياء) كان لديها كل الحق، حتى أنا ظننت أنه من العدل ألا أستمّر فيما أنا فيه، أجل أحببتها لا أنكر، لا أنكر، ومازلت، لقد أحببتها حقاً حتى وإن بدا لكم ذلك غير صادق

كفاية، أحببتها ومازلت، بل، أحببتهما. تبدو إحداهما مكلمة للآخرى في نظري، أرغب أنا في تلك المرأة المعجزة وعندها لن أتردد أبداً، المرأة المعجزة التي تتصف بصفات الأثنتين معاً، جميلة كالأثنتين معاً، تحبني كالأثنتين معاً.

لو أن فيكن واحدة بهذه الصفات فلتقدم.

سأقدم لها قلبي قرباناً، وعمري مهراً، وسأظل خادماً أتمسح في قدميها، سأركع لها مصلياً ويلهج لساني ليل نهار بذكرها وذكر أفضالها، سأؤلف لها ترانيم ولسايق خاصة، أمنكن واحدة ترغب في كل ذلك!!؟

لاحظت أنني أشعلت سيجارة مع سيجاري الكوبي الفاخر.

كاره أنا لما فيه، ساخط للغاية.

أرغب في استعادة الماضي والعيش فيه بكل ما فيه من آلام ولا أجد في نفسي الأمل في المستقبل، ولكني لا بد أن أتغير، لا أريد أن أعيش هكذا، لا أريد أن أشعر هكذا، لا أريد أن أصبح هكذا.

أنا إسبي (محسن)، ولا أريد أن أظل هكذا، هل ستساعدني؟ ساعدني ولو بحب صغير، انظروا.. هذه أجمل.

• حب لله، لله حب.

• حب قليل يمنع بلاوي كثيرة.

• الحب الأبيض ينفع في اليوم الأسود.

• هنيئاً لك يا فاعل الحب والثواب.

• حبوني، تجدوا ما يسركم.

• حبوني، أرجوكم حبوني.

أتساءلون عن (إنجي)؟

حسناً، لا أنكر أن البنت لطيفة ولذيذة، ولكنها ليست النوع الذي أفضله، ثم إنها لم تتحمل بقاءها وحيدة هكذا فترة طويلة ووجدت لنفسها مهندسا شابا لذيذا ولطيفا مثلها وارتبطا، كالعادة هنأتهما في ود حقيقي ولم أنس أن الملح نظرة اللوم الخفيفة تلك في عين (إنجي).

لا يهم.

سي لا في C'est la vie، أقصد.. هذه هي الحياة.

كلا، كلا، لا مجال للحديث عن الفتاتين.

أنا لا أذكر اسميهما، أو حتى ما حدث.

فقط تتعرف على فتاة ما في ظروف ما فتجدها إنهارت هكذا ودونما سابق إنذار وحاولت أن تبدو رقيقة شفافة كقطعة من الرقاق الهش، ثم تلمح لك أكثر من مرة أنها لم ترتبط حتى الآن لأنها مازالت تبحث عن الشخص المناسب، أنت بالطبع يا مغفل، إنلخ، إنلخ.. قصة ممجوجة ولا تناسبني على الإطلاق..

أين تأتي هذه القصة وسط قصصي أنا مع الحب المليء بالكوارث والعواصف والظواهر الطبيعية؟!؟

هذا الحب العادي المعتاد المؤلف الذي يبدو كما لو كان أسبريناً تشتريه من صيدلية لم يُخلق لي، بالرغم من أنه يحدث كل يوم، بل.. وينجح أحياناً.

لكن، ليس معي.

أنا الشخص الخطأ.

أرغب أنا في أن أتعذب، أن أتلوى، أن أشتاق وأذوق لذة الوصل بعد هجر، أن أتمرغ في الأرض من أثر الهول، أن أسهر الليل ويصيب الوحي قلبي، أن تنزل علي آيات العشق منظومة، شعراً كانت أو نثراً، أن أرتكب من الأفعال أجنها وأحقيقها، ألا أبالي بأي شيء وأي أحد، أن يشار إلي ويتحاشاني الناس، ويحذر بعضهم البعض من مالي، لماذا؟!؟!!!

لأنني أحب، هل تفهمون؟!؟!!!

* * *

((أتظنون أن الهجر لقاتلي.

بلى - لعمرى - للوصل أقتل!!))

* * *

ما هو حقا هذا الذي اسمه حب؟! ما الذي يجعلني أختار هذه الفتاة بالذات فأقرر أني أحبها؟
هي، بالذات، دوناً عن سائر الفتيات؟ ما الذي يجعل أيا مناه، يحب فتاة؟!!!

إنه لأمرٌ مُعقّد فعلاً، ما هي الفلسفة وراء ذلك، أيجذبك شيء ما فيها فيجعلك تقبل كل ما فيها،
أتمنى شيئاً تحتويه فتتمنى لو تملك الكل وتحتويه، هل قدر أحدكم على الإجابة على هذا السؤال
إجابة واضحة من قِبل، إجابة غير ساذجة بالطبع، وأنا لا أتكلم عن الزواج أساساً، لا أتكلم عن
الفعل، بل كل همي أن أصل إلى فلسفة الحب، فلسفة الإحساس بالحب.

ولماذا يكون فقد امرأة ما هيئاً، والأخرى عسيراً نكروج الروح من الجسد؟!!!

أهناك درجات من الحب؟!!!

حب خفيف، وحب متوسط، وحب مرتفع وشديد، بل وان سلّمنا بذلك، فما هو المعامل الذي
نستخدمه لقياس مستوى الحب؟!!! وحين الفقد أو الهجر، ما هو الأسلوب الأمثل لتقييم الخسارة،
لمعرفة مدى الذبول والانكسار؟

وأظني أصبحت خبيراً في الذبول والانكسار.

فأنا الآن شاب عجوز، مطفأ العينين، مغضن الوجه، أمسيت أدخن بشراهة، شاحب، زحف
البياض إلى شعري، ألث عند أقل مجهود، وتؤلني مفاصلي عند الحركة، لا أنام جيداً، ومعدتي
تتقلص وأكاد أقيء من ثلاثة أرباع الأكل.. كم أنا ضعيف ومتهالك، غير قادر على أن تقوم لي
قائمة مرة أخرى!!

قطع على تأملاتي وفلسفاتي صوت الرنة المميزة لـ(علياء) على التلفون، يالها من مفاجأة سارة
فيكاد قلبي أن يتوقف، لم أدرك كيف حدث ذلك ولكنني في قفرتين كنت أنقض على تلفوني
الذي كنت قد نسيتته في الحمام الملحق بغرفة مكثتي.

عيناى مبللة بدموع الفرح، وألث أنا في شدة من الانفعال.

- (علياء)!! حبيبتى، وحشتيني، وحشتيني موت، وحشتيني!

جاءني الصوت المتهالك الباكي الضعيف الذي عرفته يوماً منذ زمن سحيق:

- الحقني يا (محسن)، بابا تعبان قوي، الحقني أرجوك، أنا محتاجة وجودك جنبنا! (بكاء، نشيج).

تسارعت ضربات قلبي أكثر، لا أعرف بماذا نطقت وماذا قلت، حاولت أن أطمئنها، سألتها عن
المكان.. هو في المنزل الآن.. دون أن أغلق الخط كنت قد طرت إليها، غير منتبه لما أفعله، كل
شيء من حولي اختفى.

((ينقض الفارس..))

على صهوة جواده الأشهب..

على حصى الطريق ينهبها..

بسيف لامع مضيء يطيح بالخصوم يمينة ويسرى..

يصهل الجواد ووقع حوافره على الأرض كأنها الطبول..

تدق من أجل الحرب..

مع اتجاه الريح، تتطاير شعيرات ذيل الجواد..

ومعرفته، وحرمة على كتف الفارس..

في لحظات(((

سريعاً وصلت.

في دقائق كنت معهم في المستشفى.

الرجل يلهث في شدة، شاحب للغاية، متعرق في غزارة، الأمر كله غير مطمئن، ولكن ماذا يهم الآن، بعد اللقاء والوصل!!!

* * *

مستشفى، بالطو أبيض، رسم قلب.

- كلاكيت ثالث مرة -

لكن هذه المرة، مبروك يا مدام، إنها جلطة ممتدة بالقلب، مع هبوط في وظائف العضلة، قصور شديد بالدورة الدموية، التهاب رئوي، وتشخيصات أخرى لا مجال لذكرها، الأمر جاد جداً هذه المرة..

خلف زجاج العناية المركزة.

اجتمعت و(علياء) و(أمنية) ووالدتهما.

ثمانية عيون ترمق ما يحدث في الداخل في انفعال شديد، تحركات سريعة كأنها خلية نحل، خراطيم ومحاليل وأكسجين وأشياء كثيرة.. كانت (علياء) بجواري تنتفض، كالطير الذبيح، في لحظة.

وجدت أصابعي المرتعشة تمتد لتلتقط أصابعها الباردة برودة الثلج، أصابع مبللة بفعل العرق، جسدها كله يرتج أحسه ينتقل عبر أصابعي إلي جسدي، بدأت أفرك أصابعها بيدي مشجعا ومطمئنا، (أمنية) انهارت بالطبع في حضن أمها التي بدأت نحيباً متقطعا كالعويل، خرج لنا أحدهم ليسلنا ورقة عليها اسم دواء ينقصهم، وقال بلهجة مقتضبة:

حد يجب لنا الدواء ده، بسرعة.

تلقت الورقة في لهفة، وبينما أنا أهمّ بمغادرتهم لإحضار الدواء اللازم، اصطدمت وفي عنف شديد، بأخر كائن أتوقعه.

وجدتني بالطبع، مصطدماً، وتقريباً بين أحضان...
(يمنى).

تلامس وجهانا، ولفح نفسها جانب رقبتى، شفتاي مستا وجنتها وأنفي التصق بعينها.
في لحظة واحدة.

كالميلاد، كالموت، ككل شيء يحدث في لحظة..
في لحظة هي كالبعث تماماً.

استعدت كل ذاكرتي بخصوص طعم (يمنى).

ورائحة (يمنى)، وملس (يمنى)..

تقلصت معدتي بشدة، وسقطت الورقة من يدي، بدأت أحس تيمناً في شفتي ودواراً أحرقني، مقاوماً في شدة أن أمتصر هذا الجسد البض بين ذراعي، أن أتلقفها وألثم ثغرها وأداعب أسنانها بلساني..

كانت المقاومة أشد مما تتحمل إرداتي، هذا جد كثير عليّ.

التقت عيناى بعيني (علياء) في لحظة، فلهجت فيها الضعف مختلطاً بالرجاء، ثم اصطدمت عيناى بعيني (يمنى)، فزاعجت نظراتها، وأحسست ألماً مفاجئاً يعترئها، تقلصت عضلات وجهها، ثم

تملصت مني كأنما مستها الكهرباء.. أعتقد أنني في حياتي لم أنفعل كما أنا منفعل الآن، لا أكاد أحس بأطرافي، والتصلب أصاب جسدي كله، ريتي جاف، وسكين نصلها يشق حلقي، أريد أن أستنشق بعض الهواء بالخارج.

تذكرت الدواء.

مسرعاً غادرت، مازال الدوار يشملني، وأحس غيوماً، تتكاثف أمام عيني.

في الشارع، متجهاً نحو الصيدلية المجاورة لشراء الدواء اللازم، مرّ أمام عيني ما يبدو كما لو كان شريطاً سينمائياً.

أذكر يوم المسابقة..

يوم كتبت على يدي وكتبت على يدها بالقلم الجاف..

يوم ارتشف كل منا من دم الآخر متذوقاً إياه..

يوم أرحت رأسي على نفذها أول مرة..

أول قبلة قبلتها لـ (يعني)..

أذكر أول مرة أخبرتي فيها (علياء) أنها تحبني..

أذكر أول مرة ضممتها إلى صدري، ونظرات عينيها المتوسلة..

أعتقد حقاً أنني فشلت مع كليهما..

كنت دوماً متأخراً بخطوة، لم أفعل الشيء حين وجب أن أفعله، وفعلته حين وجب ألا أفعله، ترى ما الذي يخبئه لنا القدر الآن؟ وقد تلاقينا..

ثلاثتنا، كأنها أول مرّة، مجرد ثلاثة أشخاص جدد.

كلّ منّا عانى ما عانى، ونزف ما نزف، لا أظن أنني وحدي عانيت، لو أنني فقط أعرف لماذا تركتني (يعني)، أأجد في نفسي الشجاعة لأسألها الآن، بعد كل هذه الأيام والشهور والسنين؟

أستطيع أن أوجه لها السؤال المعجزة؟

ماذا حدث!!؟

ماذا حدث؟؟

ماذا حدث؟؟

زعقت في الصيدلي وهو يسلمني الدواء.

- إيه اللي حصل؟؟

رَبَّتْ الصيدلي على يدي ومصمص بشفتيه قائلاً:

- بالشفاء إن شاء الله.

أخذ مني حساب الدواء وانصرف عني، فوجئت أني مازلت واقفاً في الصيدلية، والد (علياء) محتاج للدواء الآن، لا وقت لاي شيء آخر، غمغمت شاكرًا الصيدلي ومعتذراً منه في نفس الوقت إلا أنه لم يعرني انتباهاً.

حين عدت، كان الوضع قد صار أسوأ، الوالد العزيز على جهاز التنفس الصناعي، (أمنية) ووالدتها على الأرض ينتحبان ويلطمان في قتامة.

(يعني) و(علياء).

كل واحدة منهما احتضنت الأخرى، معصرة إياها، دموعهما تختلط، أنفاسهما تهتج.

أدخل أنا، وفي تؤدة، ترفعان عيونهما نحوي.

أتوقف مصدوماً.

لا أكاد أصدق نفسي وأنا أراها، ودون سابق اتفاق.

ودون أن تتخلى إحداها عن حضن الأخرى، تمدان إلي يداً.

كلُّ منهما مدّت لي يداً في الهواء تدعوني.

جريت نحوهما معاً وأنا مدرك أنني سأغيب عن الوعي لا محالة، ماداً ذراعيّ معاً، ماداً يديّ معاً، ماداً روحي كلها.

التحمت يدي اليمنى بيد (علياء) واليسرى بيد (يعني).

أحسست لحظتها بسرى الكهرباء في جسدي.

لا أتنفس، بل فقط أسمع دقات قلبي، عالية، صاخبة.

بل أسمع دقات قلوب ثلاثتنا، في إيقاع كإيقاع حوافر جوادٍ راح، بها كل الصخب، كل الزلزلة، كل العنفوان.. الدموع تتساقط بغزارة من عيوننا جميعاً.. أول مرّة أضبط فيها نفسي أبكي بهذه الحرارة.. لا أعرف سر بكائي.. لا أستطيع أن أنطق..

بداخلي خرس كل الاسئلة.

لا أعود أذكر أي شيء، حتى إنني نسيت لحظة ميلادي.

لأنني أولد الآن، أو أموت، أو لربما هو البعث كالذي يحدث مع رماد العنقاء.

الأصابع المتشابكة تتحول إلى أذرع.

ذراع من (يميني) وذراع من (علياء) تحيطان بي.. وبكل الرغبة والاشتياق داخلي، ضممتها، ضممتها معاً إلى صدري، في شدة، في قوة، جسدي تحول إلى آلة ضم كبرى، احتويتها داخل إطار من ذراعي، أحسهما تطمئنان قليلاً ويهدأ نسق نشيجهما.

الآن..

أدفع عمري كله لأعرف ما يدور بداخل كل منهما، ماذا تحسّان الآن، ماذا تريدان..

حين أفكر بالأمر ملياً الآن.

أجده كله أشبه بالحلم، بل الدنيا كلها أشبه بالحلم، المواقف المتكررة والكلمات والأحاسيس، تُرى ماذا يريد كل منا من حياته، كيف يأتينا الإحساس بالسعادة، بالاكْتفاء، أم إننا.. قد جبننا دون أن ندري على أنصاف الأشياء، أنصاف الحلول، أنصاف السعادات، أنصاف القرارات، بل حتى.. أنصاف المواجهات.

أأجرؤ أنا الآن أن أسأل (يميني) لماذا كان المهجر؟!!

أأجرؤ أنا الآن أن أعتذر لـ(علياء) وأطلب منها الصفح؟!!

أم أتركهما معاً، وأخرج أنا من حياتهما؟

قد كانت حياتهما جميلة مستقرة بدوني، وقبل حلولي عليهما ضيفا ثقيلًا، وكنت سببا لفراقهما، أو على الأقل هذا ما ظننته، والآن تلاقياً مرة أخرى.

بدأ بكاء (يمنى) يتصاعد أكثر.

أعرف أنها كانت محرومة من (علياء) فترة طويلة أو لربما لم تفقدها وأنا الذي لم أعرف، أنا لا أعرف شيئاً عنها الآن.

آخر ما عرفته عنها عندما سافرت لخالها بالخارج، ماذا فعلت في حياتها، بل ومتى عادت أصلاً؟ ماذا لو أنها الآن متزوجة، أنا حقاً لن أعرف.

ماذا لو أن لديها طفلاً، ماذا لو أنها مُطلّقة أو أرملة، أو راهبة في محرابي، تتلهف على لحظة رجوعي، نادمة على ما اقترفت في حقي وحق نفسها، بل إني لا أعرف ما حدث لـ(علياء) الفترة الماضية، هل دخل الدكتور (علي) حياتها مرة أخرى؟ إن كان كذلك فأين هو؟ ولم اتصلت بي أنا؟! بل فعلاً لم اتصلت بي!!

بل ماذا حدث لي؟!

الأشياء كلها مختلطة ومبلبلة، ولكن هذه اللحظة خالدة لا بد، سيدكرها التاريخ لا بد، وسيدكرها كل منا لا بد..

يمكنني الآن أن أتلاءم مع حياتي بدون أي منهما.

طالما أنهما موجودتان.. زهرتا حياتي، كانتا، وستظلان..

في قوة ضممتها أكثر، فأنا لن أعرف أبداً، هل سأستطيع أن أضمتها مرة أخرى، أم لا..

فلتقم القيامة الآن، فلتصعقني الصاعقة أو فليغرقني فيضان عرمرم، فليدمرني زلزال أو ليصرعني إعصار جارف، لن يكون ذلك إلا بمثابة لمسة حانية بالمقارنة بما أشعر به الآن..

أحب حياتي، لأنها مختلفة، لأنها مثيرة، لأن أي شيء يمكن أن يحدث فيها، حتى لو كان معجزة..

في زمن ..

بلا معجزات!!!

* * *

شكر خاص

لا يكون الإنسان نفسه فحسب، بل هو مجموع أشياء.

وقدرنا في الحياة أننا لا نعيش وحدنا.

يكتب لنا الله اللقاء، ولكننا فقط من نقرر للآخرين مصيرهم في حياتنا.

هكذا يكون بعضهم رزقاً وقراراً في آن معاً.

شكراً أحمد عبد المجيد - محمد صادق - أحمد مراد - شريف عبدالهادي - أحمد القرملأوي - محمد عصمت - شيرين هنائي - علا الديب - مراد ماهر - مرسي عبدالعليم - أ. مصطفى الفرماوي - محمود الدايداموني - أن أدهم - محمد الصفتي - أمير عاطف - محمد فؤاد عيسى - منى ماهر طه - رانا عمر - حازم البيومي - وليد جلال - هاني عبدالله - أ. عماد العادلي.

وغيرهم.....

عن المؤلف

د. محمد نجيب عبدالله

- طبيب بشري - أستاذ الأمراض الباطنة بكلية الطب جامعة القاهرة (م).
- عضو اتحاد كتّاب مصر - عضو نادي القصة - عضو نادي القصة بنادي الصيد - عضو في النشاط الأدبي بنادي ٦ أكتوبر.
- ترجمت قصص مجموعته القصصية «ما قبل وفاة ملك» للإيطالية والفرنسية، وقدمت أوراق علمية نقدية عن أعماله في العديد من المؤتمرات الأدبية الإقليمية والعربية، كما حصل على بعض الجوائز في مجال القصة القصيرة، ونوقشت أعماله بواسطة كبار النقاد في كرمة ابن هاني - نادي الصيد - نادي ٦ أكتوبر - اتحاد الكتّاب - نادي القصة - مكتبة مصر.
- له ٤ مجموعات قصصية:

- ما قبل وفاة ملك (ط ١: ٢٠٠٥ - ط ٢: ٢٠١٢).

- عندما تموت القطط (ط ١: ٢٠٠٧ - ط ٢: ٢٠١١).

- العزف على أوتار بشرية (٢٠٠٨).

- كريستال (٢٠١٤).

• له ٣ روايات:

- أسفكسيا. «أن تذوب عشقاً» (ط ١: ٢٠١١ - ط ٢: ٢٠١٢ - ط ٣: ٢٠١٥).

- المتعدون لكي يقتربوا (ط ١: ٢٠١٢ - ط ٢: ٢٠١٥).

- شيروفويا (ط ١: ٢٠١٤ - ط ٢: ٢٠١٤ - ط ٣: ٢٠١٤ - ط ٤: ٢٠١٥).

- له رواية تحت الطبع حالياً: أشياء في الحب تقتلنا.
- له عدة مجموعات قصصية تحت الطبع: وقائع بعض ما جرى - ما فعله العاشق بالمعشوق.
- له صالون أدبي باسمه يقام شهرياً في الخميس الثاني من كل شهر بعيادته بالجيزة.. الرابط:

[/http://www.facebook.com/mnwifi](http://www.facebook.com/mnwifi)

كما أسس صالوناً أدبياً يقام بصفة شهرية بكلية طب القصر العيني.

• للتواصل مع المؤلف:

بريد إلكتروني: mnwifi@gmail.com, mnwifi@yahoo.com

على الفيسبوك: Mohamed Naguib الرابط:

<http://www.facebook.com/Dr.M.Naguib>

صفحة الكاتب على الجودريديز:

<https://www.goodreads.com/author/show/6453205>

1. الغلاف
2. ١٨٦ عمارات امتداد رمسيس - ٢ أمام أرض المعارض مدينة نصر
3. إلى زهور ثلاثة تزين حديقة عمري ..
4. الجزء الأول
5. الجزء الثاني
6. الجزء الثالث
7. الجزء الرابع
8. شكر خاص
9. عن المؤلف